الجمهوريـــة الجزائـــريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
République Algérienne Démocratique et Populaire
وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي
Ministère de l'Enseignement Supérieur et de la Recherche Scientifique

المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

المرجع: .....

دراسة رواية"ما تبقى لكم"لغسان كنفاني-دراسة فنية-

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في اللغة والأدب العربي
تخصص: أدب عربي

إعداد الطالبتين:
*- إلهام العايب
*- كوثر صيد

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بورايو

السنة الجامعية: **2015/2014**

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله العلي العظيم الذي من علينا بنعمه فألهمنا روح الصبر و المثابرة

لإتمام هذا العمل،و ما كان ليتم إلا بفضله و توفيقه،نشكره شكرا عظيما يلي بجلال وجهه و عظيم سلطانه وبعد:

في مثل هذه اللحظات يتوقف اليراع ليفكر قبل أن يخط الحروف ليجمعها في كلمات...تتبعثر الأحرف وتتداخل الكلمات،فعبثأن نحاول تجميعها في سطور قليلة تمر في الخيال، ولكن لم يتبقى لنا في نهاية المطاف ونحن نخطو خطواتنا الأخيرة في غمار الحياة الجامعية، ونخص بجزيل الشكر والعرفان كل من أشعل شمعة في دروب عملنا والى من وقف على المنابر وأعطى من حصيلة فكره لينير دربنا إلى الأساتذة الكرام في معهد الآداب واللغات، ونخص بالتقدير و الشكر الجزيل للأستاذ ***"عبد الحفيظ بورايو"*** الذي تفضل بإشرافه على هذه المذكرة والذي لم يبخل علينا بالنصيحة والتوجيه وأفادنا بملاحظاته القيمة خلال مراحل انجازها،شكرا على صبرك وتواضعك ورحابة صدرك،ولك منا أستاذنا الفاضل ابلغ آيات الشكر و التقدير والاحترام وجزاك الله خير الجزاء وأمد الله عمرك و أبقاك سندا وفخرا لخدمة البحث العلمي.

ونرجو من الله أن يقدر عملنا في ميزان الحسنات"يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم"

الشعراء الآية 88

إهداء

إلى منارة العلم والهادي الأمي إلى سيد الخلق إلى رسولنا الكريم سيدنا محمد- صلى الله عليه وسلم -

إلى من قال فيهما الرحمان"وقضى ربك أن لا تعبد إلا إياه و بالوالدين إحسانا"

إلى الذي احمل اسمه بشرف إلى عزتي و فخري،إلى من تجرع الكأس فارغا ليسقني قطرة الحب و الحياة إلى أبي"محمد"

إلى التي رآها قلبي قبل أن تراها عيناي،إلى التي بين ضلوعها احتميت،ومن حبها ارتويت

إلى رمز المحبة و العطاء إلى أمي"حليمة"

إليكما اهدي نجاحاتي كلها فمنكما انهل رحيق قوتي و تفوقي.

إلى من غرست في قلبي الطموح، إلى من علمتني أن النجاح يسطع من قلب المعاناة إلى من علمتني الإرادة ومواجهة الانكسار إلى أختي"نجوى"

إلى القلوب الطاهرة إلى رياحين حياتي إلى إخوتي"بشرى-رفيق-سفيان-ع-الوهاب

إلى فراشات المنزل"منار" "رفاه"

إلى من تتبعت خطوات دربي طيلة ثلاث سنوات و شاركتني هذا العمل *كوثر*

بدمعة فرحة النجاح الممتزجة بدمعة فراق الأحبة إلى خير صحبة:فاطمة،صبرينة،حياة رقية،غنية،بثينة،نسرين،ماجدة ،والى كل من أحبهم قلبي.

إلهام

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

"قل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون"

صدق الله العظيم

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك..ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك..ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك..ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة..وتصح الأمة..إلى بني الرحمة ونور العالمين

سيدنا **محمد صلى الله عليه وسلم.**

إلى من كلله الله بالهيبة والوقار..إلى من علمني العطاء بدون انتظار..إلى من أحمل إسمه بكل افتخار..أرجو من الله أن يمد في عمرك لترى ثمارا قد حان قطافها بعد طول انتظار وستبقى كلماتك نجوم أهتدي بها اليوم وفي الغد وإلى الأبد

والدي العزيز: **محمد الشريف.**

إلى ملاكي في الحياة..إلى معنى الحب وإلى معنى الحنان والتفاني..إلى بسمة الحياة وسر الوجود..إلى من حبك أقوى من الزمن..إليك يامن صدرك كله حنان إليك يامن سهرت الليالي لتربيتي فبكيت لبكائي وسعدت لسعادتي،إلى من كان دعاؤك سر نجاحي،مشواري معك كان يثوق إلى ينبوع الحنان وأغلى ما نطق به اللسان،إليك وحدك دون سواك أمي حفظك الله وأطال في عمرك

أمي الحبيبة: **حبيبة.**

إلى من بها أكبر وعليها أعتمد..إلى شمعة متقدة تنير ظلمة حياتي،إلى من بوجودها أكتسب قوة ومحبة لا حدود لهما،إلى ملجئي وسندي،إلى القلب الطاهر الرقيق والنفس البريئة إلى من عرفت معها معنى الحياة

أختي العزيزة: **ندى وزوجها سمير.**

إلى من أرى التفاؤل بعينه..والسعادة في ضحكته..إلى شعلة الذكاء والنور..إلى الوجه المفعم بالبراءة ولمحبته أزهرت أيامي وتفتحت براعم الغد

إبن أختي أميري الصغير: **محمد إسلام.**

إلى أخواي ورفقاء دربي..وهذه الحياة بدونهما لا شيء..إلى القلوب الطاهرة الرفيعة والنفوس البريئة..في نهاية مشواري أريد أن أشكرهما على مواقفهما النبيلة..إلى من تطلعا لنجاحي بنظرات الأمل

أخواي: **نذير ومحمد.**

إلى كل الأهل والأقارب الأعزاء على قلبي إلى من غمراني بالسعادة والأمل أخوالي وخالاتي وأبناؤهم وأخص بالذكر إبنة خالي وصديقتي التي أقضي معها اجمل أوقاتي العزيزة عل قلبي: **آية.**

إلى من جمعني بها القدر في أنبل وأشرف عمل راجية من الله لها التوفيق في الحياة: **إلهام.**

إلى الأخوات اللواتي تحلو بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء إلى صديقاتي في مشوار الدراسة وفي مقدمتهم:

إلهام صيد ، غنية ، سارة ، صبرينة ، حياة ، بثينة هدى ، سعاد ، نجاة.

إلى هؤلاء أهدي ثمرة ثلاث سنوات من الكد والجد والإجتهاد وإلى من هم في قلبي ونسيهم قلمي.

كوثر

مقدمة

غالبا ما يجد الإنسان نفسه بحاجة إلى شيء يعبر بواسطته عن مكنونات نفسه،ومرارة عيشه،فكان الأدب خير وسيلة لنقل تلك الأفكار وتجسيد تلك المشاعر،وعرض أماله وتطلعاته.

ولقد عرف العرب فنونا أدبية كثيرة عبر العصور، والذي اتخذ منها الكتاب وسيلة للتعبير عما يختلج صدورهم، وعما يعيشه مجتمعهم فظهرت القصة، والمسرحية، والرواية...

وتعد هذه الأخيرة أحدث نوع نثري عرفه العرب إذ نجدها من الأجناس الأدبية التي تحظى بشعبية كبيرة، والأكثر رواجا وتأثيرا في المتلقي،إذ تتخذ لنفسها ألف وجه،وترتدي في هيئتها ألف رداء،وتتشكل أمام القارئ تحت ألف شكل،مما يعسر وضع تعريف جامع مانع لها.

والحديث عن الرواية العربية يقودنا إلى الحديث عن الرواية الفلسطينية التي تجسد فيها صور المعاناة والمأساة التي عاشها الفلسطيني،خاصة في الفترة المحصورة ما بين 1948-1968،وكذا الحديث غن غسان كنفاني الذي يعد من الأسماء اللامعة في الرواية الفلسطينية،فهو الفلسطيني الناهض من بين أنقاض المأساة والجرح النازف والمعاناة الطويلة،وذلك من خلال ما أودعه من دفاتر وروايات والتي ترتكز في معظمها على الوطن والتمسك به رغم الظروف والأزمان.

ويقف وراء اختيارنا لهذا الموضوع المتميز،ما يتسم به من ثراء وغنى،وغوص في أعماق الواقع الفلسطيني،وكذلك الرغبة التي تحذونا للولوج في عالم غسان،إذ استطاع بغزارة إبداعاته المتعاقبة أن يؤسس عالما روائيا فريدا في الساحة الأدبية الفلسطينية.

ولعل أهم هدف نصبو إليه من خلال هذه الدراسة هو تطلعنا أن يصنع بحثنا مكانا في المركز وأن يفيد الطلبة الصاعدين.

ومن هنا ينطلق البحث من إثارة إشكالية:الأدب الفلسطيني وغسان كنفاني.

وللإجابة عن هذه الإشكالية فقد اعتمدنا على منهج متكامل مرتكزين على المنهج الوصفي التحليلي.

وككل بحث من البحوث الأكاديمية فقد قسمنا بحثنا إلى تمهيد وثلاثة فصول تسبقهما مقدمة وتتلوهما خاتمة.

تمهيد:تحدثنا فيه عن الرواية الفلسطينية وأسباب ظهور هذا الفن متأخرا.

***الفصل الأول:**تناولنا فيه

- ✓ مفهوم الأدب الفلسطيني.
- ✓ مراحل الأدب الفلسطيني.
- ✓ خصائص الرواية الفلسطينية.

***الفصل الثاني:**خصص لـ:

- ✓ التعريف بغسان كنفاني.
- ✓ الشخصية في بعض قصصه ورواياته.
- ✓ الحس الاغترابي في أعمال غسان الروائية.
- ✓ الرؤية المستقبلية في أعماله الروائية.

***الفصل الثالث:**فيه عرض لـ:

- ✓ ملخص رواية"ما تبقى لكم".
- ✓ الدراسة الفنية للرواية.

وخلص البحث إلى خاتمة ضمت بعض ما توصل إليه البحث من نتائج.

ويحسن التأكيد أن البحث استفاد من مراجع فنية، ومعرفية كثيرة، اتصل بعضها بعالم غسان كنفاني الروائي، واهتم بعضها الآخر بالأدب الفلسطيني ذاته، ويمكن أن نشير إلى المراجع الآتية:

*مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث لإبراهيم خليل.

* تجربة الزمن في الرواية العربية لملاس مختار.

* المقاومة المسلحة ضد المشروع الصهيوني في فلسطين لحسن محمد صالح.

* الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال لغسان كنفاني.

لم يخل انجاز هذا البحث من بعض الصعوبات،تعلق بعضها بتشعب عالم الرواية في حد ذاته،والحاجة إلى مصادر فكرية ومعرفية متنوعة تساعد على فهم عالم الرواية،وعالم غسان أيضا،لكن طرافة موضوعنا وحيويته،وحبنا أولا لفلسطين وأدبها،ومساعدات الأستاذ المشرف ودعمه غير المحدود،قد هون علينا كثيرا من الصعوبات والمشاق التي اعترضتنا.

وفي الأخير لا يمكننا الجزم بان بحثنا بلغ الكمال المنشود، ولكن حسبنا أننا حاولنا وعسى أن تكون هذه المحاولة اثر خطوة تتبعها خطوة أوسع في مسار البحث العلمي، والله الموفق وهو الذي يهدي إلى سواء السبيل.

***مدخل :**

✓ **عالم الرواية الفلسطينية:**

تأخر ظهور الفن الروائي في فلسطين بسبب الاضطرابات التي حلت بها منذ وقوعها تحت الانتداب البريطاني، و عدم اهتمام النقاد بالجهود الروائية التي ظهرت، كما أن سلطات الانتداب حصرت التعليم في أبناء الأسر الموالية لسياستها[1].

و على الرغم من تأخر ظهور الفن الروائي، و الأسباب التي أدت إلى تخلفه فإن نهضة أدبية قد حدثت في فلسطين و خصوصا في مجال الشعر و الترجمة ، وقد حدد الدكتور قسطندي الشوملي أسباب هذه النهضة الأدبية في عدة عوامل منها:

1- **الاتصال بالثقافة الغربية عن طريق الترجمة عن اللغات الأوروبية:**

فقد تمت ترجمة بعض الأعمال الأدبية من اللغات الإنجليزية و الفرنسية و الروسية مباشرة، كما قام البعض بترجمة بعض الأعمال الأدبية الأوروبية من اللغة التركية التي سبقت أن ترجمت هذه الأعمال إليها، و قد قامت بالترجمة أولئك الذين تعلموا في جامعات أوروبا و تركيا.

2- **انتشار التعليم:** فقد تطور التعليم بعد إعلان دستور سنة 1908، وانتشرت المدارس الحكومية التي كانت تعلم باللغة التركية ، و المدارس الطائفية التي كانت تعلم باللغة العربية، مما أيقظ اللغة العربية من سباتها، و خلق حركة أدبية قوية.

3- **انتشار الصحف:** فقد صدرت في فلسطين تسع عشرة صحيفة في الفترة ما بين سنة 1908-1914، فكانت صحيفة " القدس الشريف" أول صحيفة عربية تصدر في فلسطين في بداية هذا القرن، و تعتبر صحيفة الكرمل أهم الصحف التي ظهرت في عام 1908، كما يعتبر نجيب نصار الأب الحقيقي للصحافة في فلسطين، و قد ساعدت الصحف على نمو الحركة الأدبية عن طريق نشر الأعمال المترجمة أو المؤلفة ، و أفسحت المجال أمام الأدباء لنشر إبداعاتهم الشعرية و الروائية.

[1] - ابراهيم حسين الفيومي، الواقعية و الرواية الحديثة في بلاد الشام، بيروت ، دار الفكر، 1983، ص 17/16.

4- **ظهور الطباعة** : فقد ساعدت على نشر الأعمال الأدبية المؤلفة و المترجمة.

5- **الإستشراق:** فقد قام المستشرقون بترجمة بعض الأعمال الأدبية الغربية إلى اللغة العربية، وقد مواعدة دراسات ساعدت على نمو الحركة الأدبية في فلسطين.

6- ظهور الجمعيات الأدبية: مثل الإخاء العربي، الجمعية الألمانية الفلسطينية، و جامعة الأدباء.

لقد بدأت الرواية الفلسطينية بداية رومانسية، لكنها رومانسية مرتبطة بآلام الواقع الذي أشعل مشاعر كتابها، و قد عانى بعض الكتاب من قصور أدواتهم الفنية و عدم فهمهم الحد الأدنى للمواصفات الفنية للفن الروائي، فقد لجأ بعضهم إلى تزويد رواياتهم بالخرائط و الصور الفوتوغرافية. [1]

و قد ذكر حبيب قهوجي في كتابه " عرب فلسطين المحتلة عام 1948" أن قصة بتهون لتوفيق معمر هي أول قصة عربية طويلة تنشر في فلسطين المحتلة، ويرى فخري صالح أن كتابات غسان كنفاني" تطابق زمنيا مراحل القضية الفلسطينية بل إنها تسبق هذه المراحل باستشرافها لها، و رؤيتها الذاتية للأحداث [2]، كما كان غسان كنفاني من أكثر الرواية الفلسطينية وعيا في طرح الموقف الطبقي و ذلك بحكم إنتمائه السياسي و التزامه بالعمل الثوري الفلسطيني الذي قاده إلى دراسة المجتمع الفلسطيني و موقف طبقاته من القضية الوطنية [3]، و صدرت بعد ذلك روايات: سداسية الأيام لإميل حبيبي سنة 1969م ومقهى الباشورة لخليل السواحري و غيرها [4] ، وعلى الرغم من من وجود الرواية الفلسطينية.المرتبطة بالواقع في الأدب الفلسطيني، و الرواية الواقعية، فقد وجدت الرواية الرمزية مثل الكابوس لأمين شنار.

[1] – رشاد عزمي المحتسب، رواية أنا فلسطين.

[2] – أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني ص 277.

[3] – فخري صالح، في الرواية الفلسطينية (ط1، بيروت، دار الكتاب الحديث، 1985) ص 16.

[4] – المرجع نفسه ص 257، 258.

1/ تعريف الأدب الفلسطيني:

هو الأدب الذي ابتدعه أبناء فلسطين و الشعب العربي في فلسطين، في الفترة الممتدة من أواخر القرن التاسع عشر للميلاد إلى غاية يومنا هذا، فهو جزء لا يتحرك من الأدب العربي الحديث، وقد ساهم مساهمة في كل التجارب الثورية التي شهدها الأدب العربي و قد تميز باختلافات بينة في بعض النواحي خاصة في علاقته بالمكان و الزمان وفي لهجة الخطاب و الاتجاهات، وفي انشغاله الخاص بالقضية السياسية السائدة.

2/ مراحل الأدب الفلسطيني:

مر الأدب الفلسطيني منذ نشأته بمراحل مختلفة و ذلك طبقا لتطور القضية الفلسطينية و أحداثها المختلفة.

2-1- أدب النكبة الفلسطينية:

جاءت نكبة 1948 حاملة معها جرحا عميقا في الجبين الفلسطيني خاصة و العربي عامة، إذ تعد حرب 1948 أحد أكبر ماسي التاريخ الفلسطيني و العربي، فقد أدت إلى سقوط جزء كبير من الأراضي الفلسطينية تحت الاحتلال الصهيوني و قد كانت هذه الحرب نتيجة مباشرة لقرار الاستعمار البريطاني الانسحاب من فلسطين و إيكال الأمر للأمم المتحدة التي أصدرت (....) قرار رقم 181 بتاريخ 29 نوفمبر 1948 بتقسيم فلسطين إلى دولة عربية بنسبة 45%، و يهودية بنسبة 54%، ومنطقة دولية بنسبة 1.%[1]

وتعتبر هذه المرحلة، مرحلة جديدة في حياة في حياة الأدب العربي الفلسطيني،قدر للحركة الأدبية أن تولد من رحم النكبة [2] .

[1] – حسن محمد صالح: المقاومة المسلحة ضد المشروع الصهيوني فلسطين، المركز الفلسطيني للإعلام 2001 ص 19.

[2] – غسان كنفاني : الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948–1968 مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت 1968 ط1 ص45.

2-2- أدب الشتات الفلسطيني (نكسة 1967):

شهدت مرحلة 1967 العديد من الأحداث الهامة في مسيرة النضال الفلسطيني و كان أول هذه الأحداث ما يسمى بنكسة 1967، فقد شكلت هذه الهزيمة خيبة أمل للشعب الفلسطيني خاصة و العربي عامة، فقد حكم على الشعب الفلسطيني بالتشتت الأبدي سواء داخل الوطن الأم أو خارجه.

و أمام هذه الكارثة التي ألمت بالشعوب العربية ظهرت مجموعة من الإبداعات الفنية و على الرغم من تأثير هذه النكسة سلبا في نفوس المبدعين الفلسطينيين حيث "وقف الأدباء من هذه النكسة الدامية موقفيين، موقفا سلبيا يتمثل بتوجيه أصابع الاتهام و إبراز نقاط الضعف و تصوير التمزق و الانقسام العربي ومن الأدباء من وقف موقفا ايجابيا يثق بقدرة الإنسان العربي على محور عار النكسة و يتطلع إلى مستقبل مشرق.[1]

2-3- أدب المقاومة الفلسطينية:

تمثلت نزعة التحرر الوطني و الاجتماعي و القومي في الشعر العربي الحديث في ظاهرة فريدة عرفها أدبنا العربي هي ظاهرة أدب المقاومة الفلسطيني. وهذه الظاهرة موصولة.

الأسباب بالحقبة القصيرة التي سبقت احتلال فلسطين، و إزالة هويتها العربية، و إقامة المشروع الاستيطاني الصهيوني عليها [2].

و لقد نشأ في فلسطين كما في غيرها ثلة من الشعراء و الأدباء كانوا عنوان فخر لها، وذلك أنه لم تكد أشباح الصهيونية والاستعمار تتلاحم حتى نهض الشعر ينبه الغافلين و ينذر المسؤولين بالخطر الداهم و الشر المتطاير و يدافع بنار الحرف، وحمم الإيقاع على الحمى المقدس و الوطن المتوارث[3].

---

[1] -محمد راسب النابلسي موضوعات أدبية أدب فلسطين www.palestne.info.infi.

[2]- إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر و التوزيع عمان ط1، 2003 ص 237.

[3] - عبد الكريم اليافي- دراسات فنية في فن الأدب العربي مكتبة لبنان ناشرون ط 1. 1416- 1996 م ص 132.

و هذه المجموعة تعد امتدادا للشعر الوطني و الثوري ولكنها أصبحت ذات طابع خاص نظرا للظروف التي أحاطت بها و في مقدمتها الحصار الثقافي الخانق الذي ضربه حولها و العزلة الشديدة عن العالم العربي.[1]

و قد ظل شعر المقاومة هذا مجهولا بالنسبة لقراء العربية حتى كان ظهور كتاب غسان كنفاني" أدب المقاومة" 1966 الذي ألقى فيه الضوء على بعض الكتابات القصصية و بعض النماذج الشعرية المتعددة التي لا تكفي لتكوين صورة واضحة عن هذا الأدب.[2]

ما يميز الأدب المقاوم في فلسطين المحتلة منذ 1948- 1968 هو ظروفه القاسية البالغة الشراسة التي تحداها وعاشها و لهذا فشأنه شأن المقاومة المسلحة بشكل حلقة جديدة في سلسلة تاريخية لم تنقطع عمليا[3].

و المطلع على الأدب الفلسطيني منذ 1948- 1968 يلاحظ أن هذا الأدب قد ربط ربطا محكما بين المسألة الاجتماعية و المسألة السياسية و اعتبرهما طرفين من صيغة لابد من تلاحمهما لتقوم بمهمة المقاومة [4].

[1] - إبراهيم خليل : مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث ص 237.
[2] - المرجع نفسه ص 238.
[3] -المرجع السابق ص 10.
[4] - المرجع نفسه ص 45.

3-خصائص الرواية الفلسطينية :

3-1.صور المقاومة في الرواية الفلسطينية:

لقد قدم التاريخ العربي المعاصر أنصع الأمثلة التي تجسد روح المقاومة لدى الشعب العربي في مواجهة الهجمة الاستعمارية الشرسة التي حاصرت طموحاته، وقد أثبت الشعب العربي الفلسطيني على مدى صراعه الطويل و المرير مع الصهاينة ومناصريهم و عملائهم أن إدارة المقاومة قادرة على اقتراع أشكال جديدة تناسب المواجهة و شكلها و مكانها.

لقد تجسدت أشكال المقاومة كافة في الأدب العربي الفلسطيني، فصورت الرواية الفلسطينية مختلف تلك الأشكال النضالية، ونشير هنا إلى أن سلاح الذاكرة كان وسيبقى من أهم الأسلحة التي تستطيع الشعوب المقهورة إشهارها في وجه المغتصبين ويخيل إلى أن ترسيخ الذاكرة العربية في فلسطين هو أحد الواجبات التي تلقى على كاهل المثقفين في مقبل الأيام، لأن العدو الصهيوني يخاف الذاكرة أكثر مما يخاف الجنود، وهو حين يتجلى عن مساحة الأرض يحاول أن نتخلى عن الميثاق الوطني و عن الثقافة ومن هنا حملت الرواية الفلسطينية المقاومة الذاكرة الوطنية بين سطورها، ورسخت نموذج الشخصية المناضلة، و أعطت اللغة بعدها الاجتماعي الوطني من خلال الأغاني و الأمثال الشعبية و غيرها، وثمة أمر جدير بالملاحظة وهو حضور المكان في عناوين الروايات الفلسطينية بشكل كثيف و الذي يشكل إيقاعا مميزا في الرواية الفلسطينية.

ونلاحظ أيضا اهتمام الفضاء الروائي الفلسطيني باستعادة صورة الوطن، فالتجربة الفلسطينية في المنفى، بما تعنيه من تهجير شعب، وقيام دولة مستعمرة استيطانية على بقايا أشلائه، فريدة في التاريخ الحديث الذي عرف أنواعا مختلفة من الاستعمار، و تبدأ لهذا الفرد في الوضع الفلسطيني قام الخطاب الروائي الفلسطيني برمته على الإحساس المؤلم بالفضاء ونهض مفهوم الفضاء على أساس التناقض بين ما كان و ما هو كائن بين حلم الوطن و حقيقة المنفى، و إذا كان بعض الروائيين وما ينسجونه من شخصيات روائية يعللون حبهم للأرض المعايشة، فإن بعضهم الأخر يقاوم بالذاكرة المتوارثة.

و يلجأ الروائي العربي الفلسطيني إلى نوع من تحصين الذات من خلال ترسيخ نموذج الفلسطيني في مواجهتهم ع العدو، ومع العاجز و المتواطئ ، ويرصد شخصيته السياسية و

الاجتماعية في برهة النضال و الاستناد إلى مرتكزات الانتصار و لعل نموذجي المناضل و الأم أن يكون أكثر نماذج الشخصيات الروائية الفلسطينية تعبيرا عن إرادة المقاومة، و يعد هذا النموذج أكثر نماذج الشخصية جاذبية وتنال هذه الشخصية عادة إعجاب الشخصيات الأخرى لصفة النضال أما شخصية الأم فتكاد تكون متشابهة تماما في جميع الروايات الفلسطينية، إذ إن بناء هذه الشخصية يعتمد أساسا على صفاتها المعنوية من حب للأبناء وإخلاص للقضية الوطنية، و دعم لأشكال النضال، ومباركة لخطوا ت الأبناء الذين يسلكون طريق الآباء، بكل ما تعني من الشرف و النداء.

غير أن غسان كنفاني أضاف إلى شخصية الأم كثيرا ، إذ حولها في (أم السعد) من أم تضحي بابنها من أجل فلسطين إلى أم تحقق ذاتها من خلال هذه التضحية، و هذا الأمر هو الذي دفع رفيقة البحوري إلى إعطاء سمة الملحمية لأم سعد، إذ قالت:" إن الشخصية الملحمية تنشأ من توازن التأثير المتبادل بين الجزء والكل، وليس من التفكير في الذات المنعزلة (...) إن صورة أم سعد تختلف جوهريا عن صورة الأم المتألمة التي تضحي ببنها ، لأن نضال سعد ليس تضحية، بل تحقيقا لذاتها [1] .

كما خاضت لغة الرواية معركة النضال القومي والوطني من خلال بعدها الاجتماعي ، و قد تجلى ذلك من خلال الأغنية الشعبية والمثل وغير ذلك من ألحكي الشعبي الذي يمجد أشكال المقاومة ضد الاحتلال ، فالأغنية الشعبية تبدو جزءا من نسيج الرواية الفلسطينية، وكذلك الأمثال والحكايات التي تعبر عن وجدان الشعب وتطلعاته إلى العدل والاستقرار ،كما نلاحظ اللهجة العامية في كثير من الحوارات التي تجري بين الشخصيات ، وفي الأساطير والخرافات الشائعة المعبرة عن المنظومة الفكرية للمجتمع الفلسطيني.

وتبدو أغنيات السجن جزءا مهما من الأغنيات التي تصور المجتمع الفلسطيني في مواجهة القمع الإسرائيلي، فأم آمين في رواية الأرض الحرام لمحمود شاهين تردد أغنية تقول:

[1] – رفيقة البحوري – الأدب الروائي عند غسان كنفاني ط 1 دار التقدم تونس 1982 ص 91-92.

يا ريت السجن ينهد على أصحابه

لأنه على الغالي سكر بوابه

يا ريت السجن ينهد على السجان

لأنه سكر بوابه على الخلان[1]

وفي إطار الأدب المقاوم رصد الروائيون الفلسطينيون صور القمع المختلفة التي تعرض لها الفلسطينيون من السجن والتعذيب، إلى اعتقال وتشر، وهدم منازل وقد رافقت الرواية العربية عامة ، والفلسطينية بشكل خاص تطورات القضية الفلسطينية بدءا من التنبيه على خطر الهجرة الجماعية اليهودية إلى فلسطين ووصولا إلى خطر الإستيلاب الذي تتعرض له فلسطين.

كما رصدت الرواية الفلسطينية الانهيارات والتداعيات التي شهدتها القضية الفلسطينية ، وتسير بشكل خاص إلى رواية يوسف جاد الحق "قبل الرحيل" التي قدمت كثيرا من تفاصيل الفعل المقاوم .

ولقد خاضت الرواية الفلسطينية ، بكل ما تعنيه كلمة الخوض تفاصيل الحرب و صورت التصدي للاجتياح الإسرائيلي كما في رواية " نشيد الحياة" ليحي يخلف الذي يجسد هذه الحرب تجسيدا حيا غنيا بالتفاصيل، وقد تابعت الرواية الفلسطينية الانتفاضة الباسلة التي اندلعت في الأراضي المحتلة منذ أواخر عام 1987 ، وقدمت من خلال روايات عديدة تفاصيلها من خلال زوايا نظر مختلفة ، ترصد بعضها الحركة الجماهيرية بين مختلف فئات الشعب، فيما يكتفي بعضها الآخر بطرح أبطال ذوي تصنيف معين (مثقفين، نخبويين) .
ولعل أهم روايتين كتبتا عن الانتفاضة الفلسطينية هما روايتا "باب الساحة "و" وجوه في الماء الساخن" لعبد الله تايه ، وتكمن أهمية هاتين الروايتين في أنهما تمتلكان لغة تلامس الحدث ملامسة فنية، ولا تقتصران على قول ما هو محض تاريخي .

[1]- محمود شاهين – الأرض الحرام.وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق ص301.

ومن هنا نجد أن الرواية الفلسطينية خاضت النضال الوطني والقومي على أكثر من مستوى، إذ حملت سلاح الذاكرة والحنين في وجه الأعداء وركزت على الشخصية الجاذبة كالمناضل و الأم وفضحت قوى القمع الاستعماري الصهيوني، ورصدت تطورات القضية الفلسطينية، وصورت في ذروة من ذرى النضال الخالد المشرف تفاصيل الانتفاضة الباسلة ، ورافقت برهة الانكسار التي ضربت الذل والمسكنة على العائدين إلى فلسطين تحت الحرب الإسرائيلية.

3-2- الشخصية في الرواية الفلسطينية:

تسهم الظروف الاقتصادية و الاجتماعية إسهاما كبيرا في تشكيل شخصية الإنسان، ولا يمكن للشخصية أن تنمو خارج إطار ظروفها الموضوعية، وقد شكلت أحداث عام 1948 منعطفا خطيرا في حياة أبناء الشعب الفلسطيني، فقد انهارت طبقات و شرائح اجتماعية، وتفككت العلاقات الاجتماعية التي كانت سائدة قبل النزوح الكبير، وتحولت غالبية الشعب الفلسطيني إلى مجموعات من اللاجئين المردين الذين تجمعوا في المخيمات وقد تشكلت شخصية الإنسان الفلسطيني رجلا كان أو امرأة ضمن الظروف المختلفة التي عاشتها و التي أثرت عليه سلبا أو إيجابا، وقد وقع الإنسان الفلسطيني تحت تأثير عدة دوائر ، دائرة الاحتلال المباشر، و دائرة الدول العربية التي اضطر الفلسطيني للاحتكاك بها، و دوائر الفعل الوطني الفلسطيني الذي باشرته التنظيمات الفلسطينية.

وقد تناولت الرواية الفلسطينية كثيرا من القضايا التي عاشها الإنسان الفلسطيني كالصراع مع لقمة العيش و معاناة اللاجئين الفلسطينيين، و قضية الخونة و المتعاونين التي شغلت مساحة واسعة من الرواية الفلسطينية، فقد وجد الفلسطيني نفسه يقف وحيدا في مواجهة العالم الذي حكم عليه بالانكسار النفسي الذي لا مثيل له بسبب ضياع الوطن و تشتت الأهل، ولفداحة هذا الظرف على نفسية الفلسطيني نجد أن انعكاساته تغطي مساحة كبيرة من الرواية الفلسطينية [1] ، فهو يملك نفسية خاصة لها سمات معينة أهمها: القلق و التمزق و الضجر و عقد الذنب[2] .

[1] - أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، بيروت المؤسسة العربية للدراسات 1982 ص 68.

[2] – يوسف سامي اليوسف، غسان كنفاني، رعشة المأساة ط 2، عكا دار الأسوار، 1988 ص 22.

أولا شخصية الرجل : قدم الروائي الفلسطيني نماذج مختلفة من المجتمع الفلسطيني، فلم يقتصر على تقديم الشخصيات الايجابية فقط، بل قدم إلى جانب ذلك الشخصيات السلبية، محاولا أن يكون موضوعيا قدر الكتاب أنماط مختلفة من الرجال كالعامل و المدرس و رجل الدين و المناضل و السجين و المتعاون، إلى غير ذلك من الشخصيات.

1- شخصية المناضل: شخصية المناضل هي النقيض الصارخ لشخصية العميل ، و قد قدمت الرواية الفلسطينية المناضل على عدة صور، فهو تارة يعمل في الكفاح المسلح السري و يدعو إليه، ويعمل في المجال الفكري تارة أخرى، أو في المجال السياسي، و قد شكل الكفاح المسلح هاجسا دائما لكافة الشباب المنخرطين .

2- شخصية العامل: يشكل العمل عنصرا مهما في بناء المجتمعات الإنسانية، ولكن قلة من الروايات الفلسطينية تعرضت للعمل و العمال، فقد مرت الرواية الفلسطينية على العمل مرور الكرام، ولعل ثنائية سحر خليفة هي الرواية الوحيدة التي اقتربت من حياة العامل، وناقشت أوضاع العامل قبل الاحتلال وبعده، فقد عانى العامل الفلسطيني من اضطهاد مزدوج، الاضطهاد القومي (العرقي) أثناء عمله في إسرائيل، ومن هذا الاضطهاد الطبقي أثناء عمله في بلده و في إسرائيل على حد سواء، كما عانى من التمييز الواضح بينه و بين العامل اليهودي سواء من حيث الأجرة أو الأعمال التي يكلف بها، فالأعمال البسيطة للعامل اليهودي و الأعمال الصعبة و القذرة و الدونية للعامل الفلسطيني، و العامل العربي يعامل معاملة الرقيق، فهو يقف في أماكن خاصة في المدن الإسرائيلية انتضار الأصحاب العمل أن يختار من يناسب عمله [1]، و من الواضح أن شخصيته العامل لم تلق ما تستحقه من اهتمام في الرواية الفلسطينية.

3- شخصية المعلم: من أهم الروايات التي تعرض لنا شخصية المعلم هي رواية عبد الرحمن عباد "مذكرات خروف".فقد قدم لنا صورة قاتمة عن الواقع التعليمي في الضفة و القطاع، فالانتهازية و الرشوة هي دليل بعض المعلمين، هؤلاء الانتهازيون ينالون الخطوة

[1] – سحر خليفة ، رواية الصبار القدس دار جاليليو 1976 ص 52.

عند الحظوة عند رؤسائهم فيصعدون على سلم الترقيات حتى يصلوا إلى أعلى المراتب، أما المعلم الجاد و المخلص في عمله فمحروم من أبسط حقوقه.

وتبدو الصورة التي قدمتها الرواية الفلسطينية للمعلم صورة مجافية للحقيقة فهناك عدد من المدرسين المنحرفين و المنافقين والجبناء و هناك مدرسين يعملون بجد لا يكفرون بواجبهم اتجاه أبناء شعبهم رغم سيادة منطق الرشوة و النفاق.

4- شخصية الطالب: ظهرت شخصية الطالب في الرواية الفلسطينية ظهورا محدودا، و قد تناولت روايات قليلة نضالات الطلاب يخرجون من مدارسهم و هم يهتفون بالشعارات الوطنية، كما يضطر بعض الطلاب إلى ترك مقاعد الدراسة و العمل في إسرائيل بسبب الظروف الاقتصادية الصعبة نتيجة موت الآباء أو فقدان مصدر الرزق [1]، في التنظيمات الموجودة على الساحة، وقد وصل الأمر إلى حد اعتبار أن الكفاح المسلح الشكل الوحيد للنضال في مواجهة قوات الاحتلال.

وتعد شخصية المناضل في الرواية الفلسطينية من أكثر الشخصيات الجذبة نظرا لارتباطها بالعملية النضالية، وقد أعطت بعض الروايات الفلسطينية شخصية المناضل بعدا أسطوريا فهو البطل الذي لا يهزم، وهو الذي يتمتع بقوة جسدية خارقة.

5- شخصية السجين: أما بالنسبة للسجن فإن المناضلين السجناء يعانون من مرارة التعذيب و ألام التنكيل بصورة يصعب على الإنسان مهما كان قويا أن يصمد إزاء هذا التعذيب لكن الإخلاص للقضية الفلسطينية و الإصرار على الحياة الحرة الكريمة يجعلهم يقفون صامدين أمام صفوف التعذيب من قبل وحشية و قسوة الاحتلال.

6- شخصية العميل: لا تكاد تخلو رواية من الروايات الفلسطينية من ذكر العمالة أو العملاء، فقضية العمالة و العملاء تشكل هاجسا أمنيا قد وصل إلى حد إثارة حالة من الهوس الأمني داخل المعتقلات، مما كان يثير حالة من الخوف في صفوف المعتقلين، و أينما وجد الاحتلال يوجد له عملاء، هذه القضية هي قضية إنسانية لابد من تحديد أسبابها

[1] - جمال القواسمي، أشجان ط 1 د.م 1992ص 17.

و الظروف المحيطة، كما أنه لا بد من الاستفادة من خبرات الثورات العالمية في معالجة قضايا العملاء.

وقد شبهت الرواية العميل بالحية السامة التي تستغل الفرص المناسبة للانقضاض ونفث سمها ومن الأسباب التي تؤدي إلى إسقاط العميل هي الظروف المحيطة به التي تدفعه للوقوع في هذا المستنقع، ولعل من أهم هذه الظروف طبيعة العلاقات الاجتماعية.

ثانيا: شخصية المرأة: ظلت المرأة لقرون طويلة خارج مجال الإنتاج و الحياة العملية، وحان الحب الشخصي هو قسمتها الوحيدة في الحياة [1]، ومع ذلك فقد ساهمت جنبا إلى جنب مع الرجل في بناء المجتمع، فكان لها دورا إيجابي حيث دخلت حيز الفعل الثوري بشكل لافت للنظر واندفعت إلى ميدان المواجهة مع جنود الاحتلال دفاعا عن الابن و الزوج و الذات ،وعلى الرغم من العطاء الكبير الذي قدمته **المرأة** في صفوف الثورة الفلسطينية في الكفاح المسلح أو النضال السياسي، تظل ثورة ذات توجه ذكوري، الفاعل الأساسي فيها الفدائي الرجل[2].

وقد تأثرت المرأة بالظروف نفسها التي تأثر بها الرجل، مما ساعد على تشكيل شخصيتها بطريقة مميزة، فقد شاركت المرأة الفلسطينية الرجل في معظم مهامه الحياتية و الكفاحية ، فنجد المرأة المناضلة و المرأة العاملة والأم و غيرها، و قد قدمت الرواية الفلسطينية شخصية المرأة على عدة أشكال منها:

-**شخصية الزوجة و الأم:** المرأة زوجة قبل أن تكون أما، وبيتها هو مملكتها، وزوجها هو تاج رأسها[3]، فهناك عديد من الزوجات يقفون جنبا إلى جنب مع أزواجهن في أزماتهم.

- كما عرضت الرواية الفلسطينية شخصية الأم فهي إمرأة متفانية في خدمة أولادها و غيورة على القضية الفلسطينية تدفع بأبنائها إلى العمل الفدائي كما في رواية أم السعد لغسان كنفاني.

---

[1] – هورست ريديكي، الانعكاس و الفعل" دياليكتيك الواقعية" بيروت دار الفرابي دمشق دار الجماهير 1977 ص 97.

[2] – أحمد أبو مطر الرواية في الأدب الفلسطيني–بيروت دار الأداب 1990 ص385–386.

[3] – سحر خليفة– باب الساحة–بيروت دار الأداب 1990 ص 161.

– **شخصية المرأة المناضلة:** ساهمت المرأة في العمل الثوري و الوطني الفلسطيني، فقد شاركت الرجل في مهامه النضالية، و ربما تقدمت عليه في بعض المجالات، ظهرت المرأة المناضلة في الرواية الفلسطينية على عدة أشكال ، فهي ترشق بالحجارة وتخلص الأولاد، وتخبئ الشباب، إضافة إلى همومها القديمة من حمل وولادة ورضاعة و غسيل وغير ذلك.[1]

–**الشخصية العميلة:** تمثل هذه الشخصية فئة النساء اللواتي سقطن في شباك رجال المخابرات إذ يشكلن نسبة ضئيلة في أوساط النساء الفلسطينيات، و لا تختلف أسباب سقوط المرأة عن أسباب سقوط الرجل فقد يتم تجنيدها بعد خداعها إذ يعطيها أحد العملاء منوما بعد إستدراجها إلى مكان خاص فيقوم بتصويرها وتهديدها [2]، فتتسقط الأخبار، وتحاول الاستماع لما يدور خلف الجدران، وتراقب منازل معينة.

–**شخصية المرأة العاملة:**

لم ترق الرواية الفلسطينية إلى مستوى الوقع عندما تعرضت صورة المرأة الفلسطينية العاملة، فقد تكررت شخصية القابلة في عدة روايات، ولعل لهذا الارتباط مدلولا رمزيا أكبر من مدلوله الحقيقي، فالقابلة تبشر بالمخاض القادم والتجدد المستمر ، كما تعمل المرأة ممرضة وتساهم في الفعل الوطني، تساعد المناضلين و الجرحى و غيرهم، فهي تخرج في منع التجول، وبالتالي تتاح لها فرصة المساعدة أكثر من غيرها.[3]

ثالثا: شخصية الطفل: لم ينل الطفل المساحة التي يستحقها من حجم الرواية الفلسطينية، فقد قدمت الرواية صورة مختصرة للطفل يمكن حصرها في حالتين:

1/ الطفل العادي المحروم: عاش الطفل الفلسطيني طفولة بائسة، فهو محروم من أبسط مقومات الحياة، وقد حرم أيضا من التعليم بسبب سوء الأوضاع الاقتصادية[4].

2/ الطفل الرجل: حرم الطفل الفلسطيني من أن يحيا طفولته كبقية أطفال العالم، فلم تكن له اهتمامات الأطفال نفسها فقد فتح الطفل الفلسطيني عينيه على جنود الاحتلال و ما

---

[1] – المرجع السابق ص 20.

[2] – عادل عمر–الظافرون بالعار–القدس: المؤلف – 1989 ص 212.

[3] – ربحي الشويكي–أنشودة فرح – القدس: اتحاد الكتاب 1990ص 180–182.

[4] – أحمد رفيق عوض – العذراء و القرية، القدس: اتحاد الكتاب 1992ص 66.

يمارسونه من أعمال، وكانت تسليته الوحيدة أن يلاحق الجنود بالهتاف تارة، وبالحجارة تارة أخرى.

وقد يتولى الطفل مسؤولية الحراسة في معسكرات الثورة، فيبدوا هذا الطفل وقد لوحته الشمس و العرق ، عاريا حتى الخصر ، وفي يده مسدس ولا يمكن التفاهم معه.

ويتصرف الطفل ابن الخامسة عشرة كأنه رجل، فهو واثق من نفسه، يصعد إلى السطح ويلقي الحجارة على الجيش ويبيع الجرائد أحيانا، وهو يدخن ولا يخاف الموت .[1]

ويقوم الأطفال بمساعدة المطاردين فيطلقون الصراخات التحذيرية لتنبيههم إلى الخطر [2] وفي رواية " أشجان " ، لجمال القواسمي فالأطفال في هذه الرواية يحملون على كواهلهم واجب الدفاع عن الوطن و التصدي لقوات الاحتلال.

ففي رواية "الصبار " لسحر خليفة تعرض الرواية صورة للمناضلات الفلسطينيات اللواتي ساهمن في تهريب الشيفرات إلى المناضلين الفلسطينيين داخل الأرض المحتلة.

[1] – حسين جميل البرغوثي –الضفة الثالثة لنهر الأردن –القدس دار الكتاب حزيران 1984 ص 47.

[2]– صافي صافي – الحلم المسروق – القدس دار الكتاب 1992 الفصل 3 ص2.

1-التعريف بالروائي "غسان كنفاني" :

***حياته:**

ولد غسان كنفاني في التاسع من نيسان(افريل) عام1936 بعكا،وحين عمت الثورة أرجاء البلاد وأصبحت صورة التقتيل والتنكيل والاغتيال هي الصورة الملازمة لحركة الزمن، وحينما أجهضت الثورة قررت عائلته السفر إلى"يافا"حيث قطنت بحي المنشية المجاور لحي"حمامات اليهود"في تل أبيب على شاطئ البحر.

وهناك التحق"غسان"بمدرسة "الفرير" بيد أن اشتباكات حدثت بين العرب والصهاينة عام1947م في الحي الذي كان الهجوم التهج يري الذي شنته القوات الإسرائ يلية على"عكا"في"27 نيسان 1948"وقامت بمجازرها البشعة التي دفعت بالعائلة الكبرى -أعمامه و أخواله-إلى حمل المتاع و اللجوء إلى جنوب لبنان للإقامة، لكنها لم تلبث بها طولا إذ انتقلت بعد إلى دمشق وسكنت بيتا قديما بحي"الشبابكية".[1]

***تعليمه:**

بدأ غسان حياته التعليمية في مدرسته الأولى"المخيم"-مخيم اللاجئين-حيث انكب على دراسة اللغة العربية وآدابها،ونال شهادة الثانوية بتفوق في الأدب العربي دون سائر العلوم الأخرى.

ولما كانت لغسان موهبة فائقة في الرسم فانه تمكن من أن يصبح مدرسا في الرسم في مدرسة اللاجئين الفلسطينيين عام 1954،ويشارك في أول معرض دولي بدمشق، بعد ذلك إلى الكويت للرسم والألعاب الرياضية،ويقيم مع ستة شبان في بيت يقرؤون ويتنافسون ويتحاورون، ومن خلال هذه المناقشات و المحاورات اكتسب غسان منطقه القوي في الحجاج و الإقناع

التحق بعد ذلك بشقيقه وشقيقته بالكويت، وهناك أقبل على القراءة بنهم،حيث يروى أنه أصبح لا ينام قبل أن ينتهي من قراءة كتاب كامل أو ما يقارب ست مائة صفحة.

[1]- ملاس مختار تجربة الزمن في الرواية العربية-رجال في الشمس نموذجا- طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية وحدة الرغاية الجزائر-2007 ص25.

ثم بدأ ينشر بعض تعليقاته السياسية في الصحف الكويتية بتوقيع "أبو العز"،وعاد غسان مرة أخرى إلى الرسم والقراءة والحوار فقرأ لـ "ماركس،وانجلز،ولينين..."وآخرين. وفي عام 1960 رجع إلى بيروت بعد أن أمضى ست سنوات في الكويت،وفي بيروت عمل بالصحافة حيث اشتغل محررا في جريدة الحرية الناطقة باسم حركة القوميين العرب بين 1960-1963،ثم في جريدة الناصرية بين 1963-1967 .[1]

***غسان الزوج:**

تزوج"غسان كنفاني"من مدرسة، دانماركية اشتراكية تدعى"آني هوفر" وانج با طفلين "فايز"و"ليلى" إذ عاش غسان كغيره من اللاجئين الفلسطينيين بدون هوية ولا حتى جواز سفر،إذ تتكلم "أني" عن حياتها العائلية فتقول"كانت لدينا مشاكلنا كأي فلسطينيين آخرين، مشاكل اقتصادية وغيرها، مثلا "في كانون الثاني عام 1942،اضطر غسان أن يلازم البيت منذ شهر لأنه لا يملك أوراقا ثبوتية، خلال هذه الفترة كتب رواية "رجال في الشمس"وقد أملاها علي ، لقد ترجم لي كل قصصه وروياته"

***الأعمال الأدبية:**

غسان كنفاني كان كاتبا ومبدعا,له انجازاته الفنية الجديرة بالدراسة،فقدم الى جانب نضاله السياسي وعمله الصحفي أعمالا أدبية خالدة فألف مجموعات من القصص القصيرة وهي على النحو التالي :

1-موت سرير رقم 12 عام 1961.
2-أرض البرتقال الحزين عام 1963.
3-عالم ليس لناعام 1965.
4-عن الرجال والبنادق عام 1968.
5-القميص المسروق.
6-القنديل الصغير.

وله مجموعة من الروايات:

1-رجال في الشمس 1963.
2-عائد إلى حيفا 1969 .

[1]- المرجع السابق ص 26-27.

3-ما تبقى لكم 1966.

4- أم سعد 1969.

إلى جانب ثلاث روايات لم تكتمل:

1 -العاشق " بدأ في كتابتها عام 1966 ".

2-برقوق نيسان.

3-الأعمى والأطرش.

ومن أعماله الأدبية أيضا ثلاث مسرحيات:

1-مسرحية الباب 1964.

2-مسرحية القبعة والنبي1964.

3-مسرحية جسر إلى الأبد.

وهناك عدد من المسرحيات ومجموعة ضخمة من المقالات الصحفية والمحاضرات التي لم تنشر[1] .

إضافة إلى دراسات قام بها "غسان كنفاني" نذكر منها :

1-في الأدب الصهيوني 1967.

2-الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الإحتلال 1968.

3-أدب المقاومة في فلسطين المحتلة 1966.

4-المقاومة ومعضلاتها.

وقد لقيت أعمال غسان كنفاني في ميادينه المختلفة صدى لدى القراء والمنظمات إذ نال عدة جوائز منها:

-نال الجائزة الأولى عن قصته القصيرة "القميص المسروق"[2] .

-نال عام 1966 جائزة أصدقاء الكتاب في لبنان عن روايته "ماتبقى لكم ".

-كما تحصل على جائزة اللوتس التي يمنحها إتحاد كتاب آسيا وإفريقيا.

-نال إسمه جائزة منظمة الصحفيين العالمية 1974.

---

[1]-موقع:www.investintech.com

[2]-ملاس مختار تجربة الزمن في الرواية العربية ص 26.

-منح إسمه وسام القدس للثقافة والفنون في يناير 1990.[1]

*** ما ترجم له:**

ترجمت معظم أعمال غسان كنفاني ونشرت في حوالي " 16 لغة" في عشرين دولة مختلفة، وتم إفراغ بعض رواياته في قالب مسرحي،قدم في الإذاعات، وعلى المسارح ،وفي كثير من الدول العربية والأجنبية بين عامي " 1983-1986"،تم اختيار أربع روايات وقصص قصيرة من أعمال كنفاني لتنقلها إلى اللغة الألمانية، ففي عام 1992م ترجمت إلى الألمانية الرواية الشهيرة -عائد إلى حيفا-وفي 1994م قصة -ارض البرتقال الحزين- وكذلك رواية-رجال في الشمس- وهي الرواية الأولى التي تم نقلها إلى اللغة الانكليزية في السبعينيات، وصدرت عن دور نشر في انجلترا و الولايات المتحدة الأمريكية ،ثم نقلت الرواية نفسها إلى ستة عشر لغة .

وصدرت الطبعة الدانمركية لها عام 1990والطبعة الإنجليزية 1992 في القاهرة،وكانت قد نقلت إلى اللغة الايطالية وصدرت سنة 1991م، والى الاسبانية في 1991م أيضا،حيث جمعت الروايات الثلاث"رجال في الشمس"و"أم سعد"و"ما تبقى لكم"في مجلد واحد صدر في مدريد ،وكانت الرواية الأخيرة قد صدرت في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1990م.

في حين صدرت الطبعة الايطالية لرواية -عائد إلى حيفا- في روما عام 1991م،ونقلت مجددا إلى الانكليزية في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1994م وأما كتاب "عالم ليس لنا"وهو مجموعة قصص قصيرة فقد نقلت إلى الايطالية وصدرت في روما في 1993م غير أن أشهر وأروع القصص التي خص"كنفاني"بها الأطفال هو كتاب "القنديل الصغير"الذي زينه بالرسومات فنقل إلى الألمانية أولا،ثم إلى الفرنسية وحول إلى مسرحية دمى متحركة في الدانمارك.

وقد لاقت رواية "أم سعد" اهتمام الإذاعة الدانماركية التي خصصت في **1993**م برنامجين مطولين عن"غسان كنفاني " حياته وأعماله[2] .

---

[1]-Copyright ©2005 .adab.com

[2]-المرجع نفسه.

***وفاته:**

عانى "غسان كنفاني"من مرض السكري غير انه استطاع أن يتعايش معه فيغالبه تارة، وتارة هو يغالبه حتى صباح "الثامن من يوليو 1972" إذ تم اغتياله من طرف المخابرات الاسرائلية اليهودية ،بأمر من "غولدا مائير"–رئيسة الوزراء– والتي قالت في "كان اخطر على إسرائيل من كتيبة من الفدائيين" وكان ذاك بتفجير سيارته أمام منزله في بيروت عن عمر يناهز "36 سنة".

فوضعت بذلك حدا لنهاية مناضل كبير،كان قمة في الصحافة و النضال،مخلفا وراءه فراغا هائلا في دنيا الصحافة و الأدب.

***أقوال النقاد:**

قال عنه"**مهند عبد الحميد**": "كان غسان مقاتلا و القتال يحتمل الموت،وكان لاجئا والعودة تحتمل الموت،وكان ملتزما والالتزام يفترض لقاء الموت،تنطوي فلسفة الموت عند غسان على مبدأ المفاضلة:أنت لا تستطيع اختيار الحياة،لأنها مغطاة لك أصلا والمغطى لا اختيار فيه،اختيار الموت هي الاختيار الحقيقي،وخاصة إذا تم اختياره في الوقت المناسب،وقيل أن يفرض عليك في الوقت غير المناسب،والوقت المناسب الذي عناه غسان هو تحدي الإنسان للظلم والاستبداد ورفضهما إلى المستوى الذي يجعل الموت محتملا،كثمن تلك المفاضلة".

قال عنه "بلال حسن" في جريدة السفير :"عرف غسان كحربي،وكمثقف وكصحافي،وكقصاص،وكروائي،ويميل النقاد إلى الإشارة بكل هذه الجوانب في شخصيته،بنوع من التبجيل للشهيد،هذا التبجيل إلي يمنع حتى الآن من دراسة غسان بموضوعية،ومن إعطاء التقدير الفني الذي يستحقه،إن ابرز ما في غسان هو عالمه الإنساني الداخلي الفني،وقدراته الفنية،كان غسان فنانا،يعمل كثيرا إلى حد الإرهاق،ثم يحترق لكي ينتهي من العمل الصحفي،لا ليذهب إلى النوم،بل ليجلس وراء مكتبه عند ساعات الفجر،ويكتب قصة قصيرة تختمر فكرتها في ذهنه،ويكون أول ما يفعله في اليوم التالي،أن يمر على غرفة التحرير ليقرا تلك القصة،كان يملك طاقة على الكتابة بعد أن يقضي عشر ساعات في العمل الصحافي المتواصل".

وكتب"**صايغ أنيس**"في نفس الجريدة:"عاش غسان ثورة دائمة في العلاقات الخاصة كما في الشؤون العامة،فنانا كان أو كاتبا أو مفكرا،صديقا كان أو رفيقا أو زميلا،أو قريبا أو زوجا أو أبا أو أخا،كان غسان ثورة تلتهب مثلما تحرق أعصابه،لذلك كان النضال الفعلي في الثورة الفلسطينية بالكتابة والتوجيه والدعوة والانتماء العقائدي، وتحمل المسؤولية بؤرة يحقق غسان فيها ذاته ويقترب من مثله العليا السامية،ولعله كان أيضا يريح فيها أعصابه" .

ويقول "**سلمان طلال**" :"أحفظ لغسان كنفاني انه أدخلني إلى قلب فلسطين،وقد كنت وجيلي نقف على بابها،ونحبها بلسان الشعراء من دون أن نعرفها،كذلك أحفظ لغسان انه فتح أمامي وجيلي الباب لمعرفة إسرائيل معرفة تفصيلية،بأحزابها وقواها السياسية وتركيبتها الاجتماعية والتيارات الدينية،ومؤسساتها العسكرية الأمنية،كانت فلسطين بلا خريطة،شحنة عاطفية عالية التوتر مبهمة الملامح،فانتزعها غسان من الخطاب الحماسي المفرغ من المضمون وأعادها أرضا تنبت البرتقال والياسمين،لكنها تنبت قبل ذلك الرجال النساء والأطفال،أعاد فلسطين إلى أرضها،وأعاد الأرض إلى تاريخها،وأعاد التاريخ إلى أهله وأعاد الأهل إلى هويتهم الأصلية،فإذن فلسطين عربية باللحم والدم والهواء والشمس والقمر والمهد والأقصى والحرم الإبراهيمي،والأنبياء والمعراج،والشوك والحصى ومياه العمادة والأغوار التي تضم في حناياها عشرات الصحابة الذين استشهدوا من اجلها وفي الطريق إلى تحريرها من الاحتلال الأجنبي."[1]

كما كتب" **شاكر فريد حسن** "يقول:"كان غسان كنفاني متعددة المواهب فكان صحفيا ورساما وكاتبا للاطفال، وحياته لم تعرف الفصل بين القول والفعل،فكان كاتبا ملتزما بقضايا شعبه الوطنية والقومية والطبقية،ومناضلا سياسيا،ومدافعا عن حق شعبه الفلسطيني في الحرية والاستقلال كذلك كان غسان مسكونا بالهاجس الفلسطيني،وقد عاش المأساة الفلسطينية وحمل جراح شعبه وآلامه وهمومه اليومية في أعماق قلبه،وسكبها في قوالب فنية جميلة وأصيلة،جاءت تجسيدا صادقا لواقع البؤس والشقاء والحرمان والظلم والقهر الاجتماعي الذي يعيشه الفلسطيني المتشرد والطارد في المخيمات الفلسطينية وفي جميع أصقاع العالم.

[1]–المرجع السابق.

لقد أحب غسان الحياة حتى العباد ة، وعشق الأرض و الوطن الفلسطيني، بسهول ه وهضابه ووديانه وبرتقاله وزيتونه ورمانه ومدنه الثابتة.

وكان غسان كاتبا ثوريا بارزا،مسلحا بالفكر العلمي الاشتراكي،ماقتا الشعارات الجوفاء الخالية من المضامين الثورية الحقيقية،مهاجما الانتهازية الانتهازيين،مقاوما الوصوليين والنفعيين، ومتصديا للمرتزقة والمرتدين عن الخط الثوري ،ولذلك أحبته الجماهير الشعبية الفلسطينية وحظي بتقدير رفاقه وشعبه وتياراته السياسية واتجاهاته الفكرية."

2-الشخصية في بعض قصص وروايات غسان كنفاني:

تعد الشخصية عنصرا هاما من عناصر النص القصصي وكذلك الروائي،ودراسة الشخصية منفردة واعتناء بفاعليتها في النص لا يعني عزلها عن سائر المكونات الأخرى للنص القصصي والروائي،بل التعمق في دراسة الشخصية وما تؤديه في النص من جهة ودراسة فاعلية الشخصيات وعالمها الخارجي فضلا عن عالمها الداخلي لها،وكذلك عالمها النفسي في نصوص غسان كنفاني وهو يواجه كل المحاولات الصهيونية لسحق الشخصية العربية.

***الشخصية الفلسطينية في نصوص غسان كنفاني:**

- النمط الأول:الشخصية العربية الذكورية :

1-الشخصية الفدائية:

كتب غسان قصة"إلى أن نعود" 1957 وتتبدى فيها جليا معاني التضحية والفداء،وبطل هذه القصة شخصية فدائية تروم الانتقام من العدو الذي عذبه وقتل زوجته، فهذه الشخصية تمثل ضحية من ضحايا العصابات الصهيونية،وكنفاني لم يضع اسما لبطل قصته فعبر عنه باستعمال الضمير الغائب بوصف الإنسان رقما مبهما من بين أرقام مبهمة.[1]

إذ يعد الضمير الغائب أقوى صوت للتعبير عن رؤية المؤلف الشخصية [2]، واستخدم كنفاني أسلوب الوصف لعرض شخصيته وتقديمها للقارئ،فللوصف وظيفة ذات طبيعة

[1]- د.عبد القادر شرشار،خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الصهيوني،مركز دراسات الوحدة العربية ط1-2005 ص 90.

[2]- ينظر-د.صلاح فضل،نظرية البنائية في النقد الأدبي دار الشروق،ط 1998،1 ص293.

تفسيرية ورمزية معا،فرسم شكل الشخصيات وملابسهم وملامحهم أيضا، وكل هذا يعطي فكرة عن تركيبها النفسي، فالوصف عنصر حيوي في تقديم الشخصيات،وقد أحسن كنفاني في التعبير عن خبايا النفس الإنسانية المعذبة،فمشهد الأرض في قصته يثير في روح الشخصية الفدائية ذكريات كثيرة من أبرزها:قتل الصهاينة لزوجته وهنا تمتزج ذكريات الماضي بالحاضر فتنزف تلك الصورة الدموية ذاكرة البطل[1].

2-الشخصية المتمردة

تعد شخصية"حامد"في رواية"ما تبقى لكم"شخصية ذات طابع مأساوي فالبطل محاط بأجواء الخيانة،شخصية حامد تعبر عن تمرد الفرد الفلسطيني الذي يصارع الاحتلال،ورواية"ما تبقى لكم"تعبر عن حالة النهوض الثوري للشعب الفلسطيني بعد النكسة،و بطلها المتمرد الثائر"حامد"حاول بتجربته الشخصية ووعيه السياسي،أن يغير الواقع و أن ينتصر على خصمه ولكن سمات البطل في الرواية الفلسطينية تخرج عن صفات البطل الرومانتيكي في الرواية الأوروبية[2].

إن غسان كنفاني في روايته هذه يخلق بطلا متمردا في قمة عنفوانه،متحديا الواقع الذليل متجسدا بوطنه المغتصب وكرامته المدنسة،وشرفه المهدور،فقد أراد لهذه الشخصية أن تكون معبرة عن البطل المنفذ تنتظره فلسطين،فهو المتمرد الرافض لكل الحالات السلبية،وقد أجاد كنفاني في تقديم شخصية حامد وتصويره ملامح عذاب الإنسان وآلامه ولاسيما الطبقات المغمورة التي سحقتها الظروف فتقف ضد التيار لتضطلع بدور الثورة و المقاومة.

3- شخصية العاشق:

تعبر رواية"العاشق"عن تبلور الرؤى في الكتابة الكنفانية إلا أن استشهاد الكاتب حال دون إكمال الكاتب للرواية، فالعاشق بطل بدايته فوضوية ثم تتحول شخصيته إلى مناضل ثوري [3] يرغب في إقامة دعائم مجتمع جديد ينعم بالحرية.

---

[1]- المرجع نفسه ص295.

[2]-د-احمد عطية،الرواية في الأدب الفلسطيني،دار الرشيد للنشر 1981 ص426.

[3]- ينظر-فخري صالح.في الرواية الفلسطينية،دار الكتاب الحديث،بيروت ط1 1985 ص 27.

اهتم كنفاني برسم الملامح الخارجية للعاشق فهذه الشخصية المناضلة تعبر عن القيم الثورية الواعدة فهي شخصية تعجز وترفض التكيف مع الواقع الذي اختاره الصهيوني المستعمر له ولشعبه،لذا فهو يعيش غربة روحية ومكانية فضلا عن تعرضه للاضطهاد و المطاردة،فهو يعاني الوحدة في أقصى حالاته،لكن ثورته تعبر عن الحس الجمعي الفلسطيني،و العاشق تجسيد للروح الفلسطينية لحظة انكسارها،ولحظة تألقها وهي تثبت وجودها.

4-شخصية الخائن:

قدم كنفاني من ضمن شخصيات ذات طابع سلبي لها دور معاد للقضية الفلسطينية،فكانت شخصيات هامشية متأرجحة تسودها روح العداوة و البغضاء،ولم يقم كنفاني بالتعمق في تلك الشخصيات أو الغور في عالمها الباطني،واكتفى بتصوير تفكيرها العدائي فضلا عن تصوير التفصيلات في بناء أجسامها، كتقديم كنفاني لشخصية"زكريا"في رواية"ما تبقى لكم" الذي وشى بأحد أبطال المقاومة لقوات الاحتلال،فكنفاني يشير إلى تلك الشخصية السلبية إزاء القضية الفلسطينية صورا،فهي إما أن تكون عملية أو مساندة لقوات الاحتلال ضد أبناء وطنهم،وتظهر مثل هذه الشخصيات جلية في القصص والروايات بصورة سطحية لا يتعمق فيها كنفاني،فهي شخصيات عديمة الإحساس لا تعرف الرحمة والحب فهي لا تحب أرضها،وتقف عائقا أمام أبناء الشعب الفلسطيني،ويختار كنفاني الموت نهاية لهذه الشخصيات بوصفه مصيرا حتميا عادلا.

***النمط الثاني:الشخصية الفلسطينية الأنثوية:**

صورت قصص وروايات كنفاني حياة المرأة الفلسطينية على وفق رؤية واعية،فكانت المرأة الفلسطينية تكابد الأحزان والكوارث وفقدان الأرض والأب والأخ والزوج والأبناء،فقد قاومت هذه المرأة مصادرة أرضها واعتقالها وممارسة العنف ضد شعبها،فقدم كنفاني نموذجا متعددة لها تمثلت فيما يأتي:

1- الشخصية الفلسطينية الأنثوية الفدائية

عرض غسان كنفاني صورا متعددة للمرأة فضلا عن دور المرأة الأم التي تقدم أولادها للعمل الفدائي و الثوري و السياسي،ففي قصة"شيء لا يذهب"قدم غسان الفدائية الفلسطينية الأولى التي تنفذ عمليات فدائية وهي شخصية "ليلى"المستوحاة من رحم المعاناة،ويمتزج

تركيب هذه الشخصية بين الواقع و الخيال، فهي تمتلك سمات بطولية فذة تنفرد بها عن سائر النساء، فهي وحيدة وشخصية سوية لها ضمير يقظ تخرج من معاناتها،منتصرة على نفسها وعلى الآخرين في لحظة الضعف،وقد وفق كنفاني في تصوير الشعور الداخلي لشخصيته وإصرارها ومقاومتها وكذلك معاناتها وحزنها العميق.

2-الشخصية الأنثوية المقاومة:

تعبر رواية"ما تبقى لكم"عن نبوءة للثورة،وقد استوحى كنفاني شخصياته في الرواية من عالم الخسارة والإحباط،والفشل،والتيه،والمطاردة،وقد أضفى الكتاب على شخصياته موقفه ورؤيته للقضية الفلسطينية،ليجعل منهم أشخاصا تصارع العدو وتنتصر عليه،ولا يغرب على الأذهان استخدام كنفاني لتيار الوعي في هذه الروية ونظروا إليها بعين الإكبار ،فهي تمزج بين اليأس والأمل إذ تقول الدكتورة"رضوى عاشور"إن مضمون هذه الرواية هو العجز و الإحباط المنسجم مع تيار الوعي المستخدم في هذه الرواية ."

كما أشار الدكتور"روجو رمور"إلى أهمية التكنيك المتطور للرواية وتأثيرها السينمائي [1]. إذ منح كنفاني شخصية "مريم"ذات الاسم الرسالي في الرواية صوتا خاصا يسمع إلى جانب صوت أخيها "حامد" فنلمس فيها خصوصية المعاناة بعد ضياع الوطن،ونجد كنفاني قد اعتنى بتصويره العالم الداخلي والنفسي لشخصية مريم فضلا عن عنايته بالواقع الخارجي، فزاوج الكاتب بين العالم الخارجي الذي تتحرك فيه الشخصية،وبين وجودها الباطني والنفسي. فمنح الكاتب شخصية مريم الفعل ذي الدلالة الايجابية ويحركها، لتقوم بدورها الوظيفي،إذ ترمز شخصية مريم إلى فلسطين وتمتاز شخصيات رواية"ما تبقى لكم" عن شخصيات القصص و الروايات التي سبقتها فهذه الرواية تعبر عن نضج الوعي الفلسطيني وتفجر العمل الثوري، فكانت تمهيدا طليعيا لحالة النهوض الثوري التي عاشها الشعب عقب النكسة[2].

3-شخصية الأم الفلسطينية:

قدم كنفاني شخصية الأم الفلسطينية فأبدعت أنامله في رسم بطولة نسوية منفردة ذات ملامح جماعية ثورية،تمثلت في شخصية "أم سعد" تلك المناضلة التي تمثل الطبقة الفقيرة

[1]- محمود غنايم ،تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة،دار الجيل-دار الهدى بيروت-القاهرة،ط1993،2 ص260.

[2]- د.أحمد عطية الرواية في الأدب الفلسطيني دار الرشيد للنشر 1981 ص275.

من الشعب الفلسطيني،وهي تنوء بحمل هموم الوطن فهي تعبير عن الوضع الجماهيري المتحرك الذي أصبح عليه الشعب الفلسطيني [1] وهذه الشخصية تجسد للمرأة التي تشعر بمرارة الهزيمة وترفض ذل اللجوء و المخيمات،فهي أم مثالية فذة ولم يمنعها حبها لولدها سعد من الوقوف مع المقاومة والنضال وحبها يتشعب ليشمل الفدائيين في المخيمات،وتظل شخصية أم سعد من الشخصيات الفاعلة فهي تتبنى توجهاتها في الحياة نظرا لتعمقها في تجارب الطبقة المعدمة الضعيفة،لينضج ويتطور وعيها واختيارها وقناعتها بالواقع وخضوعها لقهر الزوج واضطهاده وقسوته،وتلك الجزيئات البسيطة الملازمة لشخصية المرأة الفلسطينية جعلت منها شخصية فنية على الرغم من بساطتها.

كما ترى الدكتورة"رضوى عاشور"إن تلك الجزيئات البسيطة الملازمة لشخصية "أم سعد" التي تمر بها في حياتها اليومية وكذلك مواكبة كنفاني للواقع المرير وابتعاده عن المبالغة في رسم شخصياته جعلها تتميز بوصفها شخصيات فنية مأخوذة من الواقع.[2]

ومن هنا قدم كنفاني شخصية المرأة العربية الفلسطينية التي تميزت بالصبر والقوة والشجاعة فقدم صورا موضوعية حقيقية للمرأة وأهدافها النبيلة فهي تقاوم الإحتلال والتهجير والقتل والإعتقالات والتعذيب،فتلك المرأة التي باتت ترى أن المقاومة والثورة والكفاح هو طريق الخلاص والتحرر من الصهاينة أعداء الحياة لتبصر فلسطين مشرقة بشمس الحرية.

النمط الثالث:شخصية الطفل الفلسطيني:

العديد من أبطال قصص وروايات غسان كنفاني كانوا أطفالا وذلك سبب ما عاناه الطفل الفلسطيني من بؤس وتشرد وكذلك ذل اللجوء والحرمان ، فاسند كنفاني في بعض قصص ورواياته دور البطل إلى شخصية الطفل مثل قصة "ارض البرتقال الحزين"وتبرز فيها شخصية الطفل بوصفه بطلا و راويا،وكانت شخصية الطفل هي الصوت المعبر عن الطبقة المغمورة والمعدمة في الشعب الفلسطيني،لاسيما ان القصة القصيرة تزدهر مع حياة المعاناة،فهي تتخذ الإضاءة النفسية أو الحضارية وتعالج قضايا الإنسان.

وقصة"ارض البرتقال الحزين"تجسيد وبحث عن حلم مفقود في الطفولة في زمن التشرد و الضياع والبؤس،إذ تجسد القصة نزوح عائلة من(يافا)إلى(عكا) ويطغى صوت الطفل المعبر

---

[1]–المرجع نفسه ص 280.

[2]–عبد الله رضوان البنى السردية اليازوري العلمية للنشر الأردن ط2 2002 ص64–65.

عن ذكريات الطفولة المشردة،وشخصية الطفل اللاجئ هي القناع الذي اتخذه المؤلف للتعبير عن الطفولة الحزينة،كما أن كنفاني كان يعرف مأساة اللجوء وتداعياتها وويلاتها فهو من جيل المأساة الذين تجرعوا مرارة التشرد والاضطهاد.[1]

النمط الرابع الشخصية اليهودية والشخصية الصهيونية:

1-الشخصية اليهودية:

إن الشخصية اليهودية في الأدب العربي تختلف عن تقديمها في الآداب الأوروبية،والمفهوم المتداول عن الشخصية اليهودية فهي:أن اليهودي هو الفرد الانكليزي أو الفرنسي أو العربي الذي يعتنق الدين اليهودي[2].

وعلى الرغم من الصراع العربي الإسرائيلي ومأساة شعب فلسطين،كان كنفاني يقوم بتقديم مرارة الحرمان والقهر والعنصرية التي عاناها الشعب الفلسطيني،فقد استطاع كنفاني تقديم أدب إنساني تميز بالصدق الفني من جهة والتعامل مع الطرف الآخر بموضوعية وإنسانية من جهة أخرى،وليس على أساس العنصرية التي يتعامل بها الصهاينة مع العرب،ففي رواية"عائد إلى حيفا"قدم كنفاني شخصية"ميريام اليهودية"القادمة من ايطاليا وهذه اليهودية كشفت زيف الادعاء الصهيوني.

فالشخصية اليهودية في إسرائيل اضطهدتها المجتمعات الأوروبية،وضللها الإعلام الصهيوني وفي الوقت عينه تؤدي دور التشريد والتهجير للفلسطينيين العرب،وكذلك تعمل على اغتصاب أراضيهم،والصهيونية تؤدي دور الزانية والدليل على ذلك قيام الصهيونية بالأفعال الوحشية ضد النساء والأطفال العزل[3].

2-الشخصية الصهيونية:

تتميز الشخصية الصهيونية في روايات غسان كنفاني وقصص بأنها شخصية مسطحة ذات صورة متعطشة للدماء،وعنصرية تبغض الآخرين وهي ميالة للسطوة والتجبر،وتتعامل مع الآخرين على أساس الدين والعرق،وتلك الشخصيات الصهيونية ذات ارتباط بالشخصيات المركزية،فالقصص أو الروايات بوصفها قطب الصراع بين العرب والصهاينة،فالشخصية

---

[1]- غالي شكري، أدب المقاومة مصر، 1970 ص 130.

[2]- د.عبد القادر شرشار،خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الصهيوني، ص 113.

[3]- شكري عزيز، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ط1 1978 ص 135

الصهيونية لا تفرق بين الكبار والصغار وتنظر إلى الآخر بعين العنصرية والاستبداد والتطرف، وتميز ذلك التقديم للشخصية الصهيونية بالصدق والواقعية واقتصر تقديم تلك الشخصيات على وصف الملامح الجسمانية للشخصيات الصهيونية مع تتبع أفعالها الوحشية،وذلك إشارة إلى سمات الشخصية الصهيونية ووضعها النفسي المتعجرف كشخصية قائد الدورية الصهيونية في قصة"يوم ذاك طفلا" [1]، والجندي الصهيوني التائه في الصحراء في رواية "ما تبقى لكم".وقد اقتصر تقديم غسان كنفاني للشخصية الصهيونية على النموذج الذكوري الصهيوني فلم يقدم شخصية المرأة الصهيونية،فاستشهاد ذلك الأديب الرائع حال دون استكمال مسيرته الإبداعية.

3-الحس الاغترابي في الأعمال الروائية لغسان كنفاني:

إن الاغتراب ظاهرة إنسانية ما لبثت تتفاقم ويتعاظم أثرها كلما ازدادت حدة ضغط ما تخلفه الحضارة المادية على النفس البشرية، حتى أصبحت التجارب والأحوال التي ترتبط بها غالبا ما توصف بهذا المصطلح.

وقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب،فعد الاغتراب موضوعا بارزا فيه،شأنه شأن مختلف أوجه النشاط الإنساني،إذ أصبح من المألوف في الوقت الراهن-بصورة متزايدة-أن نسمع عن تفسير الحياة في عصرنا الحالي من خلال مفهوم الاغتراب [2]،ولم يكن الأدب العربي بمنأى عن هذه الظاهرة،وبخاصة في العصر الحديث نظرا إلى ما شهده الوطن العربي- ومازال- من ظروف سياسية واجتماعية لابد لها من أن تنعكس على نتاجات أدبائنا ومفكرينا.

فانعكست ظاهرة الاغتراب في كتابات "غسان كنفاني"وذلك من خلال معاينة مظاهر هذا الاغتراب وألوانه ودوافعه.

والكشف عن سمات الشخصية الاغترابية في الأعمال الروائية التي حفلت بتجليات تلك الظاهرة،وهي روايات"رجال في الشمس"و"ما تبقى لكم"و"أم سعد"و"الأعمى والأطرش"(الغير مكتملة)،وهي الروايات التي ترى أن موضوع الاغتراب يشكل ملمحا بارزا فيها،يغري بالبحث والوقوف على تجلياته في تكوين الشخصية الروائية وانعكاسه على سلوكها في مناحي الحياة العامة والخاصة،وانعكاس ذلك أيضا على التشكيل الفني الروائي.

---

[1]- غسان كنفاني، الآثار الكاملة المجلد2 دار الطليعة للطباعة والنشر ط1 1972 ص875.

[2]- شاخت، الاغتراب، ترجمة كامل يوسف حسن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1980 ص 56.

3-1.تفتح وعي كنفاني على الاغتراب:

لقد نشا وعي غسان كنفاني على وعي بحقيقة العلاقة بين القضية الوطنية والقضية الطبقية،وتفتح وعيه على اغتراب مادي-مكاني-صدر عن رحيله عن وطنه وتنقله بين الأقطار العربية،وعلى اغتراب معنوي-اجتماعي ونفسي-يعد نتيجة طبيعية للغربة المكانية والانفصال عن الأرض.

إن إدراك غسان لحقيقة مثل هذه العلاقات يمثل بذورا أولى لإدراكه لحقيقة العلاقات الكبرى في حياة الإنسان الفلسطيني داخل وطنه المحتل وخارجه في المنفى وفي أسفاره ورحلاته،وكذلك داخله وفي طموحاته وسعيه لإثبات وجوده عنصرا فاعلا في المجتمع العربي الكبير ،هذا الإدراك تطور وتجسد في أبطال رواياته بمختلف مستوياتهم وطموحاتهم،فاختزن كل الصور والمشاهدات والأحداث والمعاني المتعلقة بشخصية الإنسان الفلسطيني الممثل لشعبه فيما قدمه من أعمال أدبية مختلفة.

فالواقع إذن كان العامل الرئيس في تكوين شخصية غسان كنفاني،إذ تشرب كل ضروب الواقع السياسية والاجتماعية والاقتصادية،وأفاده في ذلك عمله في التدريس ثم عمله في الصحافة؛حيث كان من ابرز الإعلاميين الفلسطينيين في العالم،وقد خلف كنفاني أعمالا تكشف في مجملها على كشف معاناة الإنسان الفلسطيني قبل النكبة وبعدها،وقد كان إحساسه بالغربة وهي تمتص حياته وشبابه،وترميه في ظلام الوحدة والحرمان قد أسهم في تشكيل جوانب من بنية شخصياته الروائية.

3-2. أشكال الاغتراب ومظاهره في روايات غسان كنفاني:

قدم غسان كنفاني من خلال رواياته السبع شخصيات من واقع المجتمع الفلسطيني بشكل خاص والمجتمع العربي بشكل عام،بكل ما تحمله من سمات إنسانية ايجابية أو سلبية،فجاءت شخصياته غنية مغرية بالاكتشاف و التحليل،تعكس الجوانب الاغترابية في تكوين تلك الشخصيات وفق نوع الظاهرة الاغترابية التي وسمت الشخصية،فحالة الاغتراب عند البطل في أعمال "غسان كنفاني" الروائية أخذت صورا متعددة منها:الغربة الذاتية والفكرية و النفسية ، ولم تقتصر على شخصية بعينها،بل هي سمة مشتركة في النماذج جميعها،على أن تصنيف أنواع الاغتراب يتم وفق الدوافع التي تؤدي إليها،مع الالتفات إلى أن هذه الشخصيات وما اعتراها من مظاهر اغترابية برزت في الأشكال الآتية :

أولا:الإغتراب الديني:

وهو احد أشكال الاغتراب التي تنتاب الشخصية الإنسانية حين لا يقدم لها إيمانها أي مخرج وجداني،وقد يعني الاغتراب الديني نوعا من الاغتراب تحت الحس الديني الطافي على سطح الشعور،والتحول إلى العمق الصوفي،أو رفض القيم الدينية [1] ،وهو عند "شاخت":"الانقطاع عن حياة الله،أو السقوط من النعمة الإلهية في الخطيئة والذنوب"[2]

والإغتراب الديني هو: ظاهرة تنشا لدى الإنسان كنتيجة لشعوره بالانفصال عن الذات الإلهية،وعن القيم الدينية،وتتخذ التمرد على كل مظاهر الاتصال بين الإنسان وتلك القيم قولا و فعلا

وقد تنحو نحو السلبية فتشكل اغترابا سلبيا يوسع الشقة بين الذات الإنسانية والذات الإلهية،أو قد يكون ايجابيا نتجه من الاغتراب الروحي نحو تحقيق الانتماء للأرض و الوطن،انتماءا ثوريا فعالا،وقد حفلت روايات "غسان"بهذا اللون من الاغتراب بشقيه السلبي والايجابي،فغسان كنفاني قد طرح في رواياته قضية اتصال الإنسان بالذات الإلهية سواء بالتوجه المباشر أو عن طريق المعتقدات والمفاهيم الدينية السائدة.

فشخصيات رواياته قد فقدت الحس الديني واغتربت عن الله تعالى... ستبدلت بالقدرة الإلهية قدرات الإنسان نفسه، وهكذا كان إيمان كنفاني النابع من تجربته، الإيمان بالعمل وبالقوة وبالسلاح وبكل فعل ثوري قادر على التغيير، وعلى مواجهة مشاعر الاستلاب والاغتراب.

ثانيا- الاغتراب القيمي الاجتماعي:

إن الفرد المغترب اجتماعيا يلجا إلى الخروج على نواميس السائد الاجتماعي من خلال مناهضة تلك النواميس أو مغادرتها ومحاولة إسقاطها خضوعا لرؤيتين إحداهما سلبية والأخرى ثورية ايجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي[3]،فالغريب هنا هو من يجتنب المجتمع وما يشيع فيه من معتقدات،كما أن مجمل العلاقات بين الإنسان والآخرين تتشكل من خلال مجموعة من القيم النابعة من سوية النفس البشرية وسلامة توجهها الفعلي.

---

[1]- عبد الله يحي، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي 2005 ص124.

[2]- رجب محمود، الاغتراب سيرة ومصطلح، ط4، القاهرة، دار المعارف 1993 ص39.

[3]- عبد الله يحي، الاغتراب، ص80.

وقد رصدت الرواية الفلسطينية علاقة الأفراد الأسرية وما حدث لها من خلل وتفكك،كشفت روايات "غسان كنفاني" أن هذا الانفصال نتج عن ضغط الواقع السياسي المتمثل بخروج الناس من وطنهم وتعرضهم للتشرد والنفي وما يتبع ذلك من خلل في الكيان الاجتماعي،الأمر الذي أدى إلى إحساس الإنسان بفرديته وبحثه عن حلول فردية وخاصة مع تفاقم مشكلة الفقر المادي والفقر الروحي المتمثلين في فقدان الإنسان ثقته بالآخرين وبكل شيء حوله،إذن فاغتراب الإنسان عن قيمه الإنسانية والاجتماعية يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية،وإما أن يكون هذا الاغتراب وفق عوامل وظروف معينة مسوغا أو مقبولا،لأنه يتعلق أساسا بطرح فكري لا ينقل واقعا بقدر ما عالجه فنيا.

ثالثا:الاغتراب النفسي:

وهو سياق يتعلق بما يحدث للفرد من اضطرابات نفسية وعقلية،وما سيشعره من غربة في العالم،وهذا اللون من الاغتراب ليس إلا درجة متأخرة في سلم الحالات الاغترابية التي قد تصيب الإنسان،إذ انه غالبا ما يكون نتيجة طبيعية للغربة المادية –المكانية–وما يترتب عليها من أساس بالضياع،أو عن عدم تلاؤم بين الداخلي –النفسي– والخارجي–الواقع بمناحيه كافة–حتى لغدو الإنسان التوحيدي"إذا حضر كان غائبا،وإذا غاب كان حاضرا فمصطلح الاغتراب هنا يحمل دلالة على أحوال نفسية وعقلية تتفاوت قوة وضعفا،فقد يعني مجرد السرحان والشرود الذهني الناتج عن اهتمام الإنسان بأمور معينة،تبعده عن ذاته،كما قد يعني فقدان الحس أو غياب الوعي،كما يحدث في حالات الصراع والجنون وشرب الخمر والخبل[1].

إن الغربة كما يريدها "كنفاني" هي الموت–المواجهة–؛ففي لحظة المواجهة يتداخل البعدان الفردي والجمعي،ليعلو الصوت الجمعي الذي قد يكون مرفوضا في بعض الأحيان لكنه في آخر الأمر يعلو الاعتبار للفرد نفسه وللرغبة الدفينة في المواجهة ونبذ المشاعر الطارئة أو المؤقتة.

رابعا:الاغتراب المادي–المكاني:

أولى الدارسون المكان الروائي عناية كبيرة وصنفوه إلى مستويات وفق أثره ومقدار سطوته على نفسية الشخصية الروائية،فثمة فثمة مكان مجازي افتراضي،ومكان هندسي

[1]– رجب محمود،الاغتراب سيرة ومصطلح،ص35– 36.

محدد وخارجي،ومكان التجربة المعيشة ثم المكان المعادي،ولعل المكان المعادي الذي رمى إليه"غالب هلسا"هو المكان الاغترابي الذي يكشف اثر المكان في التكوين النفسي للشخصية،وهو ما نلمسه في ما ورد في شخصيات"غسان كنفاني"التي تحول المكان لديها إلى سجن ضيق تحت ضغط الشعور بالوحدة والألم والفقر والقهر،شخصيات"كنفاني"قد عانت الاغتراب المكاني سواء أكان ذلك داخل الوطن أو خارجه.

إن الإحساس بالغربة خارج الوطن لا يتوقف عند مجرد الحنين إليه والحلم بالعودة أو العمل من اجله، وإنما يرافق ذلك صراع وردود فعل داخل النفس الإنسانية قد تنتهي بها إلى أي مظهر من مظاهر الاغتراب الروحي والنفسي.

ومن هذا المنظار يمكن القول أن شخصيات"غسان كنفاني"في أعماله هي في معظمها شخصيات اغترابية عانت الاغتراب المكاني أولا والاغتراب النفسي ثانيا،ومما يلفت لروايات "كنفاني"قدره على تصوير دواخل النفس الإنسانية واختلافها باختلاف الظروف ووقع الأزمات عليها،فقد شملت رواياته ألوانا مختلفة من الاغتراب المادي والنفسي،ومسببات ذلك ترد إلى إرهاصات الواقع السياسي وأزمات المجتمع المختلفة .

4-الرؤية المستقبلية في الأعمال الروائية ل"غسان كنفاني":

تعتبر الرواية المنفذ الذي عبر منه الروائي،إذ وجد فيها متنفسا للتعبير عن واقعه الأليم،وعن جانب الظلمة في حياته مصورا بذلك عالما قوامه القهر والظلم والقتل،محاولة منه أن يجد نقطة ضوء ينفذ من خلالها إلى مستقبل أكثر إشراقا؛أي أن يتطلع إلى أفق مستقبل يشيع بالأمل،تعمه الحرية.

وتعتبر الرؤية المستقبلية من ابرز ما ميز أعمال "غسان كنفاني"الروائية،"إذ استشرق أفق المستقبل،ورسم ملامح ثورة تتفجر في الأرض المحتلة ذاتها،وقوام هذه الثورة هو شباب فلسطيني لم يعش مرحلة الانكسار والهزيمة سواء أكان ذلك في النكبة الأولى،أو في زمن النكسة".[1]

[1]- كريم مهدي المسعودي،غسان كنفاني و عبد الرحمان منيف الرؤية المستقبلية في الرواية ط1،دار أسامة للنشر و التوزيع الأردن-عمان- 2000 ص 15.

ففي رواية"ما تبقى لكم"تعرض(حامد)نموذجا معبرا عن الشعب في الزمن الذي سبق انطلاقة المقاومة الفلسطينية،حين بدا الشعب يدرك حقيقة ماساته ويسعى إلى تجاوزها.

إن حامد الذي يعي الآن واقعه فلسطينيا ظل مستكينا للذل ستة عشرة عاما [1]. يحمل في ذاكرته العميقة رفضا للهزيمة،فأبوه شهيد تحقق استشهاده في أثناء دفاعه عن الأرض وهو قريب من المناضل"سالم"الذي استشهد برصاص العدو،وقد كانت ذكراه تلح على"حامد"بما يؤكد إكبارا لشخصه وتقديسا لاستشهاده[2].

كما انه يحتقر "زكريا"ولا يعرفه بغير(النتن)،لأنه خائن،وحين يتمرد فهو يعبر عن تمرد الفلسطيني على واقعه المهين بعد أن تحسس ظروفه ،محاولا أن يبدأ الخطوة الأولى على طريق الخلاص،فيسير تجاه الأرض ليتخلص من ماضيه الذليل الذي يكبل خطواته.

ولعل في إطراح الساعة من معصمه رمزا لتخلصه من ذلك الماضي،ولهذا لا نميل إلى الرأي القائل:"إن الفلسطيني حامد وجد أن لا أهمية لحساب الوقت،ولذلك قذف ساعته مع بدء الخطوة الأولى في طريقه الصحراوي الطويل" [3]،إذ انه ألقى الساعة لارتباطها بزمن الهزيمة ولأنه بدا يصنع زمنه النفسي الخاص.

إن حامد في الرواية نموذجا لمرحلة النهوض التي لم تبدأ في الواقع بعد،غير أن غسان أدرك برؤيته الفنية تخلقها في النفوس التي أتعبها الانتظار العاجز وقدم نموذجها جزءا من الرؤية المستقبلية لم ينسق فيها وراء الحلم الذي لا يتوقف عند حدود الواقع بل حاول أن يلتمس وجودها في الواقع نفسه.

ولعل في إهداء الرواية إلى"خالد...العائد الأول الذي مازال يسير"ما يؤكد الوعي العميق الذي ينفذ إلى المستقبل،ويرى الشعب وهو يتململ في بحثه عن الخلاص.[4]

---

[1]– غسان كنفاني الآثار الكاملة المجلدالأول(الروايات)دار الطليعة لطباعة والنشر بيروت ط1 1972 (رواية ما تبقى لكم) ص162.

[2]–المرجع نفسه ص 200–201

[3]– د.واصف أبو الشباب،صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة،دار الطليعة للطباعة و النشربيروت 1988 ص233.

[4]– كريم مهدي المسعودي،الرؤية المستقبلية في الرواية ص 19.

وإذا نظرنا في رواية"عائد إلى حيفا"،إذ كان فيها سعيد–المثقف الذي يعي قضيته وعيا حادا–يدرك أن الحدود ستفتح في ذات يوم حتما،ولكنه لم يتصور أنها ستفتح من جهة العدو،لذلك يرى فتحها من العدو ذلا،والعودة تعني له ذلين لأنه ترك في حيفا طفله الرضيع"خلدون"بسبب ظروف الاحتلال،ولكن سعيد لا يحقق وعيه عبر الفعل،بل ينتظر أن يحارب الآخرين، حتى انه يمنع ولده "خالد" من الالتحاق بالمقاومة.[1]

غير انه حين يلتقي خلدون وقد أصبح الضابط الصهيوني"دوف"،يؤكد أن الإنسان في خاتمة الأمر قضية،وبعد أن يدرك معنى جديدا للأبوة و الوطن،ويتمنى لو أن ولده "خالدا" التحق بالفدائيين في أثناء غيابه،بل انه يكذب اعتمادا على هذه الأمنية فهو يهدد"دوف"بقوله:"قد تكون معركتك الأولى مع فدائي اسمه خالد،وخالد هو ابني...".[2]

ولعل في هذا القول يتضح أن خلدون في الرواية رمز للماضي الفلسطيني الذي ينطوي على ذل النكبة،ومرارة المأساة،أما "خالد" فهو رمز المستقبل الذي ترتسم على افقه علامة العودة المنتصرة،لذلك يخاطب "سعيد"زوجته بقوله:"إن دوف هو عارنا،ولكن خالد هو شرفنا الباقي".[3]

أما في رواية "أم سعد"،وعلى الرغم من أعمال الفداء الحقيقية التي ينفذها "سعد"ورفقائه في الأرض المحتلة،فانه لا يؤلف النموذج المستقبلي في وعي غسان ورؤيته المستقبلية،بل إن نموذج المستقبل هو الطفل"سعيد"ومجموعة الأطفال الفلسطينيين الذين يشكلون عماد المستقبل الذي يتطلع إليه غسان بوصفه جسر الخلاص الذي يعبر عليه الشعب الفلسطيني إلى شاطئ الكرامة.

(وحين نزل سعيد إلى حلقة العرض اخذ الناس يصفقون(...)ودوى تصفيق كالرعد في ساحات المخيم حين تجنب سعيد ضربة الحربة وانتزع البندقية بلمح البصر من بين يدي غريمه الطفل واستدار ثم رفعها بساعده الصغير عاليا تحت العلم الذي أخذت رفاته تصدر صوتا كاصطفاق الأكف...وفجأة التفت رجل عجوز كان يجلس عل حافة الجدار إلى جانب

---

[1]– غسان كنفاني،الآثار الكاملة(عائد إلى حيفا) ص 343–359–401.

[2]– المرجع نفسه ص 414.

[3]– المرجع نفسه ص 411.

أبي سعد وقال له:"لو هيك من الأول ما كان صار لنا شيء"وافقه أبو سعد مدهوشا من الدموع التي رآها في عيني جاره العجوز"يا ريت من الأول هيك").[1]

ولعل القارئ هنا يتساءل لماذا لم نتحدث عن رواية"رجال في الشمس"؟ ولم نبين تجليات الرؤية المستقبلية في هذه الرواية.

والواقع أن هذه الرواية تعرض واقعا فلسطينيا في إحدى الحلقات التاريخية التي مرت بها مأساة فلسطين،وكان الشعب الفلسطيني فيها مستسلما ذاهلا،فالنكبة اكبر من قدراته على مواجهتها،ولعل أي إرهاص بمستقبل مشرق يعد ضربا من لتفاؤل الساذج الغير مستند إلى تمثل الواقع.

إن واقع الشعب الذي تعالجه"رجال في الشمس"لا تسمح باجتراح معجزة تفتح أمام شخصيات هذه الرواية طريقا وهميا إلى الخلاص،غير أن نهاية الرجال البشعة في هذه الرواية،وإلقائهم على مزبلة في الصحراء بعد موتهم ملاحقين بالصرخة التي ترددها الصحراء كلها "لماذا لم تدقوا جدران الخزان"[2]،وكأنها إدانة التاريخ ولعنته تلاحقهم لأنهم اختاروا الهرب خارج الأرض بحثا عن أمل كاذب،أو خلاص فردي خادع .[3]

وفي أية حال،فان القراءة العميقة لأدب غسان كنفاني الروائي يمكن أن تدعونا إلى القول:أن غسان كنفاني في رؤيته الفنية،وفي حلمه الأدبي كان يعول على الفلسطيني الذي لم يعش ذل النكبة،ولم تلوثه النكسة التي تركت بصماتها العميقة على الوجدان العربي كله يأسا مريرا،ومن هنا كان اختياره الطفل الذي لم يعرف وعيه الهزيمة.

[1]– غسان كنفاني،الآثار الكاملة (أم سعد) ص332–333.

[2]–غسان كنفاني،الآثار الكاملة(رجال في الشمس) ص 152.

[3]– كريم مهدي المسعودي،الرؤية المستقبلية في الرواية ص 16.

ملخص رواية"ما تبقى لكم":

ما تبقى لكم هي الرواية الثانية لغسان كنفاني،ظهرت بعد ثلاث سنوات من رواية"رجال في الشمس"؛أي سنة **1966م** تحكي الرواية عن أسرة فلسطينية تسكن مدينة غزة،هذه الأسرة أخرجت من مدينتها "يافا" بعد الصدام الذي حصل بين العرب واليهود تحت ضغط الظروف،والإرهاب الذي تم فيه إخراجهم،تتشتت الأسرة،اخرج حامد وهو الطفل الذي له من العمر عشر سنوات مع أخته الشابة مريم،ولها من العمر عشرون عاما،ومعها الخالة العجوز من يافا إلى غزة،وبينما تبقى الأم في غزة لأنهم يحملون في قارب،وهي آملة في اللحاق بهم في قارب آخر غير أنها لا تتمكن من ذلك.

يقف حامد حياته على القيام بالأسرة الصغيرة–الأخت والخالة–يعمل في مدرسة للاجئين معلما.وتعلم الأسرة عن طريق الإذاعة بان الأم مازالت على قيد الحياة في الأردن، تعيش عند شقيقتها وتتبادل الرسائل الإذاعية.

يكبر حامد ويرفض أن يتزوج؛لأنه يريد أن يخرج من جحره القمئ إلى وضع أفضل،ويرفض أيضا أن يزوج مريم إلى أن يتقدم لها الرجل الجدير بها،لكن الظروف لا تتيح له تحقيق رغباته فيفاجأ بأخته–التي وهب لها حياته–حاملا وقد بلغت من العمر السادسة والثلاثين وممن؟من زكريا،زميل حامد في المدرسة،والذي لا يحمل له غير الاحتقار والازدراء،حتى انه لا يسميه إلا "النتن"،زكريا خائن ذليل جبان،تهاون أمام أول تهديد،حينما توجه به إليهم الضابط الإسرائيلي بان يدلوا على الفدائي"سالم" من بينهم،وفي ساحة المعسكر حيث كان يسود الصمت،يأمر الضابط الجنود برفع بنادقهم لإطلاق النار على الجميع إن لم يعترفوا أيهم سالم،حتى ينطلق زكريا من بين الصفوف،راكعا أمام الضابط ويقول:"أنا أدلكم على سالم"،لكن سالم لم يتح له فرصة الاعتراف فقد تقدم إلى الضابط الذي أمر بأخذه خلف الجدار وبعد دقائق سمعوا صوت الرصاص.

اجل استشهد سالم،ولم يستطع حامد أن ينسى هذه الحادثة ولا أن يغفر لزكريا بالإضافة إلى هذه الخيانة،انه متزوج وله خمسة أطفال،لم يحتمل حامد فجيعته بأخته،فقرر أن يترك البيت،ويذهب إلى أمه في الأردن عبر الصحراء،يخرج بلا سلاح ولا دليل،لكنه مصمم ولن يتراجع،يبدأ رحلته عبر الصحراء في المساء،وفي قلبها يفاجأ بجندي إسرائيلي

ظل طريق دوريته،عرف ذلك من مسدس الإنقاذ الذي كان يطلقه،كي يهتدي إليه أصحابه،ينتبه في تلك اللحظة انه لا يملك سلاحا،وبخفة وبراعة يباغت الجندي،فيرميه أرضا وينزع منه سلاحه ويستولي على سكينه،ويمضى حامد كل الليل أمام الجندي بعد أن قيده منتظرا عودة الدورية وفي هذه الساعات يستعرض ماضيه وحاضره،وما حقق على صعيد الوطن والأسرة.

هاهي الفرص تتاح له ليعوض عن ماضيه،ويعتزم قتل الجندي بسكين،وفي الوقت نفسه تقضي مريم على زكريا بسكين المطبخ،لأنه يصر على إسقاط الجنين،ويسميها الفاحشة،والشيطان،هي تقتل زكريا"النتن" لتتفادى الفضيحة.

الدراسة الفنية لرواية ما تبقى لكم:

1-الشخصية:

مفهومها:

يقوم البناء الفني للرواية على أسس متكاملة من أهمها الشخصية.فالشخصية هي المحور العام الرئيسي الذي يتكفل بإبراز الحدث،وعليها يكون العبء الأول في الإقناع بمدى أهمية القضية المثارة في الرواية وقيمتها،وحتى انه عرفت بعض الروايات برواية الشخصية.

وذلك لما تقدمه من وسائل فنية جديدة،وتفرض نفسها على المتلقي من حيث الحركة والخلق المبتكر لها،وما تقدمه من أفكار ورؤى قد تكون جديدة أو قد تكون موجودة من قبل،لكن طريقة العرض والتناول والتحليل ليست مألوفة لدينا،ومع أن للشخصية الروائية هذا الدور الفعال نجد أنفسنا حين نتوجه للتعرف على المقصود بالشخصية ،أمام لفظة دارت حولها بحوث كثيرة واختلفت في تحديدها الآراء.[1]

أما نحن فنرتئي للقول أن الشخصية هي:الكائن الإنساني الذي بتحرك في سياق الأحداث وقد تكون الشخصية من الحيوان فيستخدم عندئذ كرمز يشف عما وراءه من شخصية إنسانية تهدف من ورائها إلى العبرة والموعظة،كما أنها يختلف موضعها ودورها من حين لآخر إذ تكون شخصية "رئيسة"وقد تكون شخصية "ثانوية".

1-1 الشخصية الرئيسة: وهي ما يصطلح عليها ب(النامية أو المحورية):إذ يقصد بها تلك الشخصية التي يتحرك بها ومنها الكاتب ليبرز غايته من العمل الأدبي،روائيا كان أو حواريا.[2]

---

[1] – د.ناذراحمد عبد الخالق،الشخصية الروائية بين علي احمد باكثير ونجيب الكيلاني– دراسة موضوعية فنية– ط1 كفر الشيخ العلم والإيمان للنشر والتوزيع 2009،ص 40.

[2] – د.نادر احمد عبد الخالق،الرواية الجديدة بحوث ودراسات تطبيقية،ط1 كفر الشيخ،العلم والإيمان للنشر والتوزيع 2009–ص60.

وهذه الشخصيات تتفاعل مع الظروف والأحداث،فتنمو و تتكامل ملامحها على امتداد الرواية،ويجد القارئ رغبة شديدة في متابعتها والتعرف على مواقفها وتحري مواقفها الظاهرة والخفية،فيعجب بشخصيات ويحبها،ويكره شخصيات ويزدريها بناءا على ما يوافق ميوله.

ففي رواية"ما تبقى لكم"الشخصيات الرئيسة يمكن ذكرها عبر التسلسل التالي:

الشخصية الأولى: هي الشخصية الرئيسة في الرواية وهو"حامد"،إذ انه واحد من الشباب الذين يمثلون فلسطين،والذين كابدوا مأساة النزوح عام 1948.

فهو المحور الرئيسي الذي تتحرك من حوله الشخصيات الأخرى لتجد سبب استمرارها،إذ تجتمع فيه القوة والضعف،وكما جاء على لسان الراوي(فخطا إلى الأمام تاركا لخطواته أن تصدر فحيحا مخنوقا مستشعرا بذلك الإحساس الذي كان يملؤه دائما حين كان يلقي بنفسه في أحضان الموج:قويا وضخما ويتدفق بصلابة لا تصدق ولكنه مملوء،أيضا،بالعجز المهيض الكامل).[1]

وهنا يتضح التناقض البسيكولوجي (القوة ،العجز)وهذا ما تميز به حامد فهو يدرك ضعفه عندما تستسلم أخته لزكريا إذ يخاطبها(لقد حرصت عليك حرصي على حياتي أيتها البقرة،أمضيت كل أيامي،وأنا غارق في خدمتك...بلا كلل...فتحتي فخذيك لأول نتن، وجئت تحميله في أحشائك دون أن تكترثي لحظة واحدة بي...)[2]

أما **الشخصية الثانية** :فهي "مريم "شقيقة"حامد"التي ضاعت أحلامها وآمالها وأموالها بضياع أرضها ودخلت إلى حياة المعاناة الشقاء التي فرضت عليها بفعل النزوح.

وهي التي استسلمت لرجل"نتن"لديه ستة أطفال وحملت منه.(...بلا كلل فتحتي فخذيك لأول رجل نتن وجئت تحملينه في أحشائك...وسأقول لامك،انك مت واني دفنتك في سروال رجل نتن مع امرأة أخرى،لديها خمسة أطفال وستلد طفلا سادسا في المساء)[3].

---

[1] – غسان كنفاني، الآثار الكاملة، المجلد1(رواية ما تبقى لكم) ص162.

[2] –المرجع نفسه ص186.

[3] –المرجع نفسه ص 186.

و**الشخصية الثالثة** فهي"زكريا"وهي الشخصية التي ارتبط ذكر اسمها بمصطلح" النتن والكلب في بعض الأحيان أيضا"،إذ يمثل شخصية الخائن الذليل الجبان الذي تهاوى أمام أول تهدي،حيث توجه به إليهم الضابط الإسرائيلي،بان يدلو على الفدائي "سالم"من بينهم وفي ساحة المعسكر حيث كان يسود الصمت،يأمر الضابط الجنود برفع بنادقهم لإطلاق النار على الجميع إن لم يعترفوا يهم سالم،حتى انطلق زكريا من بين الصفوف،راكعا أمام الضابط ويقول:"أنا أدلكم على سالم".[1]

لكن سالم لم يتح له فرصة الاعتراف فقد تقدم إلى الضابط الذي أمر بأخذه خلف جدار ،وبعد دقائق سمعوا صوت الرصاص،اجل استشهد سالم ولا يستطيع "حامد" ان ينسى هذه الحادثة،وان يغفر لزكريا.

ولهذا يقول حامد بان زكريا له سوابق تدل على سلوكه وموقفه السلبي من الوطن والمواطن،إضافة إلى هذا فقد قام باستغلال غياب حامد عن البيت لينقض على مريم ويغتصبها،إلى أن انتهى به الأمر إلى أن قتل على يد مريم الحرة الطاهرة.

فأبطال الرواية هم نتاج المنفى يتقاسمون حياة مشتركة ملؤها العجز والقهر والإحباط لكنهم يختلفون في السلوك والمواقف والرؤى.

1-2 الشخصيات الثانوية: أو ما اصطلح عليها ب(النامية أو الجانبية المرموقة) : ويقصد بها الشخصية ذات الموقف المحدد،أو البعد الثابت والغير متطور والتي لا تستطيع أن تغير مصير الحدث،بسبب انحسارها في حالة حديثة ثابتة،وتلك التي كانت سببا مباشرا في نشأة الحدث وتكوينه،وتوجيهه الوجهة المناسبة وكانت عاملا مهما في إظهار وتوضيح الأبعاد الزمنية والاجتماعية والواقعية،للتركيبة الأخلاقية الإنسانية في وقت ما،يتعرفها القارئ بسهولة وقد لا يجد رغبة كبيرة في متابعة مواقفها.[2]

فالشخصيات الغير الفاعلة في سياق السر ولا في تحولاته هي:

"سالم، أم حامد،ووالده،وخالته".يطلون من خلال وعي حامد وذاكرته،فسالم البطل الغائب الذي تكرر ذكره في مونولوجات عديدة.

---

[1] – المرجع السابق ص176.

[2] – د.نادر احمد عبد الخالق،الرواية الجديدة بحوث و دراسات تطبيقية ص84.

(لقد قتلو "سالم"لأنه كان بطلا مقاوما،أما أنت فلما يقتلونك). [1] هكذا تقول مريم وهي تحاول طمأنة أخيها على حياته،فيظل هذا القول يقرصه بشدة.

إن هذا النموذج البطولي الغائب الكامن في وعي الشخصية الروائية الحاضرة "حامد"لا ينفي بطولة تلك الشخصية بل يفصح عن طاقاتها المخزونة التي تنتظر لحظة تفجرها.

أما "والد حامد" فهو أيضا يرد ذكره في تداعيات"حامد"حين امسكه سالم من ذراعه قائلا :(لقد قتلوا باك كما اعلم واغلب الظن انك عشت تعلك أسنانك وتقول:لو...حسنا) [2] ،وكذلك يظهر مع مريم حين عرضت عليها فتحية الزواج من أخيها قائلة:(ووقف أبي أمام الباب،كان غاضبا،وكان يرتجف شانه كلما تحير في غضبه،وصاح بصوته العريض المبحوح"لا تتحدثوا عن الزواج قبل انتهاء القضية") [3] ،هذه الشخصية الغالبة كان لها دور محرض على فعل العبور و المواجهة.

وكذا"أم حامد"التي نزحت إلى الأردن بعد الاحتلال الإسرائيلي ليافا بفلسطين،ورغم أنها الشخصية الأخرى الغائبة إلا أنها كان لها الأثر في سير الأحداث وتطور
فكر"حامد"وارتباطها بذاكرة "مريم" إذ ترد في قولها(لو كانت أمي هنا فقط،يا زكريا،لو كانت هنا أمي فقط).[4] (كلا ولكن أمي؟ تركت على الشاطئ وستلحق بنا)[5].

وكذلك تكرر اسمها في سياق لفظي مرات عديدة على لسان حامد(لو كانت أمك هنا،لو كانت أمك هنا) [6] ،وهذا الإيقاع له دلالته الرمزية في مبنى الرواية كما لها دورا باعثا في رحلة حامد،وان كانت أمه غير حاضرة ولكن حضورها معنوي ينير أمام حامد السبيل إلى الحل.

---

[1] – المرجع السابق ص201.

[2] – المرجع نفسه ص200

[3] – م.ن ص189 .

[4] – م.ن ص179.

[5] – م.ن ص185-186.

[6] – م.ن ص 179.

دون أن ننسى بعض الأسماء العابرة في الرواية مثل:أخت الأم وفتحي و فتحية.
فالخالة هي الأخرى لها صلة وطيدة بذاكرة مريم وحامد هذا الأخير الذي عمل من اجل أن يعيشا عيشة كريمة،وأما مريم فكانت تتخلل ذكرى خالتها حياتها(حين كانت خالتنا تنام في الغرفة الأخرى فبل أن تموت) [1] ،(وحين ماتت خالتي ماتت على سريره...) [2] ،(خالتك هنا معنا)[3].

وأما"فتحي"و"فتحية"فهي شخصيات غالبة وعرضية لم تقم بعلاقات فاعلة في سياق السرد ولا في صيرورته فهي إشارات مرجعية لفلسطين والمنفى لا تستوجب التوقف عندها.(كانت فتحية مثلك في البدء) [4] (كانت زميلة صغيرة في ثانوية الانجليز بيافا...ترى أين انتهت بك الأيام يا فتحية)[5]

وفتحي–شقيق فتحية–الذي كانت فتحية تنوي تزويج مريم منه(قالت فتحية فجأة:
–سأزوجك أخي فتحي ذات يوم...انه يبحث عن عروس،ما رأيك؟)[6].

2– المكان:

على الرغم من صعوبة الفصل بين المكان والزمان لما بينهما من تداخل وتواشج ولما في فصلهما من عسف وافتعال،سنحاول دراسة كل منهما على حدة بغية الوقوف على مظاهر وصف المكان الذي يحتضن الشخصية الروائية،ودوره في تحديد معالمها،وعلاقة كل منهما بالآخر فنيا وكذلك الحال بالنسبة الى دراسة الزمان.

المكان لفظة وردت في التنزيل الحكيم بمعنى المستقر،منها قوله تعالى:"واذكر في الكتاب مريم اذ انتبذت من أهلها مكانا شرقيا" سورة مريم–16–

[1] – المرجع السابق ص174.
[2] – م.ن ص نفسها.
[3] – م.ن ص186.
[4] – م.ن ص187.
[5] – م.ن ص188.
[6] – م.ن ص189.

وفي قوله عز وجل:"ورفعناه مكانا عليا" سورة مريم- 57- وقوله جل جلاله:"واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب" سورة ق -41-

وإذا كانت كلمة"مكان"كما يقول"لالاند":"عندما تستعمل دون أي تحديد آخر إنما تنطبق على المجال الهندسي الاقليدي الذي يخضع للقياس الموضوعي" [1]،فان المكان في الأدب لا يفهم من خلال وصفه المادي المجرد فحسب،لان الأديب وبخاصة الروائي يتعامل معه بخياله الواسع،وأحاسيسه ورؤيته المكانية الخاصة.

يمثل المكان مكنونا محوريا في بنية السرد،بحيث لا يمكن تصور حكاية بدون مكان،ولا وجود لأحداث خارج المكان،ذلك أن كل حدث يأخذ وجوده في مكان محدد وزمان معين.

يكتسب المكان أهمية كبيرة في الرواية لا لأنه احد عناصرها الفنية أو لأنه المكان الذي تجري فيه الحوادث وتتحرك خلاله الشخصيات فحسب،بل لأنه يتحول في بعض الأعمال المتميزة إلى فضاء يحتوي كل العناصر الروائية،بما فيها من حوادث وشخصيات،وما بينهما من علاقات ويمنحها المناخ الذي تفعل فيه وتعبر عن وجهة نظرها،ويكون هو نفسه المساعد على تطوير بناء الرواية،والحامل لرؤية البطل والممثل لمنظور المؤلف،وبهذه الحالة لا يكون المكان كقطعة القماش بالنسبة الى اللوحة،بل يكون الفضاء الذي تصنعه اللوحة.

لهذا فان المكان ليس عنصرا زائدا في الرواية،فهو يتخذ أشكالا ويتضمن معاني

عديدة،بل انه قد يكون في بعض الأحيان هو الهدف من وجود العمل كله،فهذا ما جعله يلعب دورا وظيفيا في الرواية الفلسطينية ولدى معظم الكتاب أمثال"غسان كنفني"،ويشغل حيزا بارزا في رواياته وفي العديد من الشخصيات الروائية واهتمامها،واتخذ معاني ودلالات ورموزا متنوعة ارتبطت بمراحل الصراع العربي الصهيوني والزمن الفلسطيني في صعوده وهبوطه.

[1] – اندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية،مج (ag) تر،خليل احمد خليل،منشورات عويدات بيروت،لبنان ط2،2001 ص363.

وكان مسرح الأحداث الروائية في كثير من الأحيان يجري على أرض فلسطين 1948-1967 بمدنها ،وقراها،وشوارعها،وأحيائها ،وبيوتها وأحيانا في مخيمات الداخل،أو الشتات ،ويستطيع دارس الرواية الفلسطينية أن يقف على ذلك كله.

إن حامد بطل الرواية يحاول أن يلملم ذاته المتمزقة ليشرع بالعمل ويكتشف طريق القضية في ارض فلسطين.

يبدأ حامد رحلته عبر الصحراء والتي يجب عليه من خلالها قطع أربعة حواجز:"حدود غزة،ثم المحتلين،ثم المحتلين، ثم الأردن"،وهذا يعني الموت المؤكد له عند إحداها،ومع ذلك قرر ممارسة خياره الشخصي،ونفض غبار العار الذي كان يتخلله،خرج إلى الصحراء ليعبرها باتجاه الأردن،حيث الفت أمه نفسها تقيم هناك بعد سقوط يافا،وفي رحلته،أصبح لهذه الأرض الشاسعة المقفرة،الصامتة،حيث لا معنى للزمن ولا وجود لحياة أصبح لها رائحة خاصة،يستنشقها الشاب الذي كان يشعر بصغره فيما سبق ورطوبة استساغ معانقتها...ولقد أضحت الصحراء كائنا حيا،يمنح الدفء والألفة.

(وفجأة جاءت الصحراء ورآها لأول مرة مخلوقا يتنفس على امتداد البصر،غامضا ومريعا وأليفا في وقت واحد يتقلب في تموج الضوء الذي اخذ يرمد منسحبا خطوة خطوة أمام نزول السماء السوداء من فوق).[1]

في طريقه وأثناء عبوره الصحراء يواجه المخاطر،إذ يتعارك مع جندي من العدو ويربطه مهددا بسكينه وتبدأ رحلة المعاناة،فيخاطب الصحراء أثناء سيره إذ(مر شفتيه فوق التراب الدافي:ليس بمقدوري أن أكرهك ولكن هل ساحبك...؟
أنت تبتلعين عشرة رجال من أمثالي في ليلة واحدة إنني اختار حبك،إنني مجبر على اختيار حبك،ليس ثمة من تبقى لي غيرك).[2]

[1] -غسان كنفاني المرجع السابق ص 161.

[2] - المرجع نفسه ص 169-170.

بينما مريم تتعذب شوقا وخوفا عليه ولا يهنؤ لها بال في غيبته،وهو الأخر يتخيلها- مريم الحامل-بأنها(ارض خصبة مزروعة بالوهم والمجهول تتكسر على أنصال الفولاذ في العالم إذا مرت فوق صدرك الأصفر العاري صدرك الاجرد الممتد إلى ابدي والى آبادهم).[1]

وهنا يشكل الماضي بالنسبة لحامد بأوزاره وأحواله حافزا قويا على عبور الصحراء،وتنشا علاقة حميمة تصل إلى درجة التلاحم ولذلك شغلت الصحراء بوصفها رمزا فاعلا مساحة الرد في الفضاء الروائي لكونها مجالا للتجاوز ومسرحا للبطولة(كانت مبسوطة أمامه مستسلمة لشبابه بلا تردد ولخطواته وهي تدق في لحمي).[2]

هذه الصحراء بامتدادها وعريها،شفرتها الباهتة الموحية أصبحت مكانا أليفا مخلوقا متدفقا بالمشاعر،لهذا فقد وطأها دون أن ينتابه خوف أو تردد(استلقى على الأرض وأحس بها تحته ترتعش كعذراء...تمنحه كل شيء عدا الوقت).[3]

لم تقتصر أحداث الرواية على مكان واحد بل تعدد ذكر أماكن كانت هي الأخرى مسرحا لبعض الأحداث،فأسرة حامد التي كانت تقطن مدينة "غزة"بعد أن أخرجت من مدينتها "يافا"بعد الصدام الذي حصل بين العرب واليهود وتحت ضغط الظروف والإرهاب الذي تم فيه إخراجهم فتشتت الأسرة،فيرحل حامد ومريم وخالتهما في القارب على أمل أن تلتحق الأم في القارب التالي،وهذا ما جاء على لسان مريم(ووراء الشاطئ الأسود كانت يافا تحترق تحت شهب مذنبة من الضجيج الملهب المتساقط في كل مكان).[4]

(...ولكن الزورق امتلأ وستأتي في زورق آخر). [5] (تدق.تدق.تدق.ويافا تغطس كالشعلة في مياه الأفق البعيد وتنطفئ في عيوننا نقطة نقطة).[6]

---

[1] – المرجع نفسه ص 179.

[2] –المرجع السابق ص173.

[3] –المرجع نفسه ص 169.

[4] –م.ن ص 186.

[5] – م.ن ص 186.

[6] – م.ن ص 186.

وسفر الأم إلى الأردن،الأمل المفقود الذي يسعى إليه حامد وهو ما يطمح إليه محاولة منه أن يتخلص من عاره،وهذا ما جاء على لسان زكريا(...حين غادر غزة أراد أن يهرب منك...)[1] ،(...ولكن بحق الإله ما الذي يريد أن يفعله بالأردن؟يذهب إلى أمه).[2]

وننتهي إلى القول:أن للمكان أهمية كبرى في الكشف عن الكثير من جوانب الشخصية التي تقيم فيه؛لان هناك تأثيرا متبادلا بين الطرفين،فكل ما في البيت يكتسب دلالته ومعناه من خلال ارتباطه بالإنسان الذي يقيم فيه.وهذا يعني أن ظهور الشخصيات ونمو الأحداث التي تساهم فيها،هو ما يساعد على تشكيل البناء المكاني في النص،فالمكان لا يتشكل إلا باختراق الأبطال له.

3-الزمان:

إذا كان المكان من خصائص الأبعاد المادية للحياة الإنسانية في العمل الأدبي الروائي،فان الزمان هو الحياة نفسها،أو هو الوعي بالحياة،ومن ثمة أمكن أن يقال:إن المكان هو "عالم الثوابت" بينما يندرج الزمان في عالم المتغيرات،ويمثل الزمن في العمل الروائي بوعي الشخصيات به،وبحركة الأحداث وتطورها،كما يمثل أيضا بالسرد الذي يجسد تلك الأحداث.

ولقد وعى الروائيون الفلسطينيون الأهمية الكبيرة للزمن،ولدوره في العمل الروائي،وفي بناء الشخصية الروائية،وتأثيره في حياتها،وفي حركة الأحداث،فانطلقوا في تعاملهم معه خصوصية الواقع الفلسطيني الحافل بالأحداث والتطورات والتحولات،فجسدوا ذلك برؤية فنية تتسم بالصدق والواقعية.[3]

وإذا كان الزمن هو الاعتماد على السوابق الزمنية؛أي الأحداث الماضية التي يسترجعها الراوي،وكذلك الاعتماد على اللواحق الزمنية وهي الأحداث المستقبلية التي يستبقها الراوي وهو في اللحظة الآنية للسرد،وبما في ذلك السيطرة على المسار الزمني للرواية،من حيث

---

[1] – م.ن ص 192.

[2] – م.ن ص 193.

[3] – سيزا قاسم،بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984ص 28-29.

التوقف الزمني والقفز الزمني والتوافق الزمني،ورصد هذا لا يتم بمعزل عن الحدث الروائي،فانه يمكن للباحث أن يميز نوعين للزمن في الرواية:

3-1 الزمن النفسي:

ويسمى أيضا الزمن الداخلي أو الذاتي،وهذا الزمن يرتبط بالشخصيات ارتباطا وثيقا،ويدخل في نسيج حياتها الداخلية،ويتلون بلون حالتها النفسية والشعورية،فيطول أو يقصر تبعا لتلك الحالة ،ويتجلى الزمن النفسي في تداعيات الشخصية وذكرياتها،ومونولوجاتها الداخلية،وتيارات وعيها،وربما برز في أحاديثها المباشرة أحيانا،وليس لهذا الزمن مقاييس ثابتة أو محدودة منطقيا،ولكن يمكن للباحث أن يتبين طبيعته من خلال اللغة التي يجسد العالم الداخلي للشخصية،حيث يحلل حركتي الزمن السردي في علاقتهما بنظام توالي الأحداث.

يلعب الزمن النفسي في رواية"ما تبقى لكم" دورا هاما إذ يبلغ الإحساس بالزمن الثقيل ذروته لدى"مريم"،فتتحول دقات الساعة إلى حالة الضياع والقلق الانتظار المميت إلى دقات مخنوقة تدق في رأسها باعثة فيها الشعور باليأس والمرارة معلنة عن موتها البطيء،وهي تتحول مع دقاتها إلى عانس،وقد بلغت من العمر خمسة وثلاثين عاما،مؤذنة في الوقت نفسه على سقوطها وتخبطها في مستنقع"زكريا النتن" الذي دفعها إلى السقوط في أحضان أول رجل دق بابها خلسة مع كل دقة من دقاتها الباردة الميتة.

ولا يلبث هذا الزمن المقيت أن يؤذن بالمغيب بعد أن وضع الإنسان الفلسطيني (حامد و مريم) حدا لكساحه وعجزه،وقطع صلته بالماضي الذليل،واستطاع أن يواجه عدوه وجها لوجه.

3-2 الزمن الطبيعي:

أو الزمن الخارجي الذي يشكل الدعائم الأساسية أو الخطوط العريضة التي تبنى عليها الرواية،ومقاييس هذا الزمن مستمدة من الزمن الطبيعي الخارجي،ولكنها غير متطابقة معها على الرغم من أنها تحمل أسماءها وهذا الأخير له دور في فضاءات الرواية،إذ تشير ساعة الحائط التي ترصد دقاتها الرتيبة القاسية،حياة أولائك الذين يعيشون في مستنقع العجز والانتظار الذي دام ستة عشر عاما بعد النكبة،فالزمن التاريخي بالنسبة للشخصيات (مريم، حامد، زكريا) واحد.

يكتسب زمن كتابة الرواية أهمية تاريخية خاصة لوقوعه قبل انطلاقة الثورة الفلسطينية،فهو من خلال الرؤية،زمن الإرهاص والتحول السياسي والاجتماعي للنضال الفلسطيني.

فرحلة حامد هي رحلة فرار أخرى للفلسطيني عبر الصحراء الفلسطينية، يهرب حامد خجلا من عاره بعد أن حملت أخته من رجل نتن، ثم تزوجها بصداق مؤجل والمعجل جنين يخبط في رحمها.

إن التحول الذي طرأ على شخصية مريم،حين استبدلت دقات الساعة بخطوات حامد في الصحراء،أصبحت في تواصل مع أخيها(ودقت دقتين،وصمت لحظة ثم بدأت خطواته المفردة،تقرع من جديد في راسي وفوق الجدار ،لقد منحتني هذا النعش،علقته أمامي كي أدفنك فيه،ولكن خطواتك هي التي ستظل تقرع حوله إلى الأبد...وستظل أنت فقط خارجه تكمل رحلتك التي لا تنتهي).[1]

ونخلص من ذلك كله أن علاقة مريم مع الساعة هي علاقة كراهية،ولهذا فقد غيرت مريم مشروع حياتها لتصبح مع حامد والصحراء محورا ايجابيا،في حين أن زكريا والساعة يشكلان محورا سلبيا،وبين السلب والإيجاب ينشا التوتر.

وحينما تخلص حامد من قيود الزمكان وتمرد على الواقع في بعديه المكان والزمان،هرب من مخيم غزة وألقى الساعة على الرمال؛لأنها فقدت وظيفتها واستبدلها بالتوقيت الفلكي،لان الصحراء مكان جديد يحتاج إلى زمن جديد،ولابد أن ينتج فعل جديد،وهو فعل الاختراق والتجاوز.

وفي الأخير نخلص للقول انه مهما تعددت الأمكنة وتغيرت الأزمنة في المنافي والشتات،فان الحلم الفلسطيني يظل مشدودا إلى زمكانه،فلسطين وزمن الكرامة والسيادة والهوية،والصحراء امتداد للمخيم،والساعة ترمز إلى السجن المغلق و المنفى.

إن الزمكان في دلالاته ورموزه وأفعاله وتقاطعاته مع الشخصيات الفاعلة في حركة السرد وتحولاته نسق تعبيري يستوعب البعد التاريخي والثقافي للشعب الفلسطيني،الذي يعيش

[1] –غسان كنفاني المرجع السابق ص211.

حياة الاغتراب،فلابد أن يبحث عن خلاصه ويتعامل مع المكان بحركية منسجمة مع حركة التاريخ،وبهذا يكون الزمكان زاوية نظر إيديولوجية فنية.

4-الحدث:

الحدث جملة من المواقف و الانكسارات و الانتصارات المتعاقبة التي تتكون منها الرواية، أو تلك السلسلة من الوقائع المسرود ة سردا فنيا، و التي يضمنها إطار خارجي.[1]

و ترتبط الشخصية بالحدث، و إذ هي المؤدية و الفاعلة له، و هي التي تحدد مساره و اتجاهاته فلا توجد شخصية بدون حدث أو حدث بدون شخصية، مما يؤكد أن العلاقات بينهما وطيدة، تمتد بامتداد كل منها، و لا يستطيع كاتب الرواية أن يفصل بين الشخصية و أحداث روايته، أو يحصل مسار الشخصية الرئيسية منحرفا عن الحدث العام.[2]

كذلك يرتبط دور الحدث بالشخصية، حيث تكون الشخصية متصلة به مشدودة إليه فاعله إياه، أو فيه، ليس هناك تابع أو متبوع، سابق و لاحق، [3] فكل ما تقوم به الشخصيات في حدود الزمان و المكان يسمى حدثا و لا يستمر الأحداث على وتيرة واحدة من الحدة إذ لابد من التراوح بين الهبوط و الصعود للانتقال بالقارئ من حالة التأقلم التي تفرضها تلك التي تفرضها تلك الاستمرارية.

و الأحداث إما أن تكون سابقة للصراع (مسببة له)،أولا دقة له (ناتجة عنه)،أما المزامنة للصراع فهي الصراع نفسه و يعتمد الروائي الانتقائية عند إيراد الأحداث، فيختارها يناسب غايته، و يجب الابتعاد عن كل حدث لا يخدم الغاية لأنه يؤدي إلى انفصام ترقي الأحداث.

***الحدث المحوري:**

يظهر الإحساس الموحش بالعالم المظلم الذي تعيشه مريم العانس التي بلغت الخامسة و الثلاثين، و لقائها بزكريا الخائن، و حملها سفاحا منه لا يجد أخوها حامد مفرا و لكنه عزم أن يغادر غزة للحاق بأمه في الأردن.

---

[1] – الشخصية و أثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ نجيب د. نصر محمد عباس مكتبة عكاظ للنشر و التوزيع، الرياض، السعودية 1984، ص 173.

[2] – الشخصيات الروائية بين علي أحمد باكثير و نجيب كيلاني، و دراسة فنية موضوعية، نادر أحمد عبد الخالق ص 204.

[3] – بانوراما الرواية العربية الحديثة د سيد محمد النساج مكتبة غريب ط 2، 1985 ص 23.

من خلال العلاقة بين حامد و مريم على البعد بينهما، أصبحت مريم و حامد شخصيته واحدة، وَحْدَهُمَا الفعل و الهدف، وذلك كان بين الحدثين اللذين يقعان في غزة و الصحراء شفافية و خصوبة وتطابق في الحدس.

غير أن زكريا الذي يشكل عامل إعاقة كان له دور فاعل في تأزم الحوادث، حيث طلب من مريم إسقاط الجنين، على لسان الراوي: " أنت مجنونة صدقيني تفتكين شبابك من أجله، و غدا ستلعنين أباه و الساعة التي لم تستمعين فيها إلى النصيحة، ستتحولين إلى امرأة مترهلة ببطن منفوش، كأنه مصاب بالجُدَري".[1]

لكن مريم ترفض "لا أستطيع" ، و هذه المواجهة الأولى علاقة حامد بالصحراء تجاوز الألفة إلى الوعي بالواقع و التمرد لانجاز الفعل كما جاء على لسان الراوي:" هذه المرة بدت وقفته حازمة نهائية و خُيّل إليَّ أن قدميه قد غرستا في صدري كجذع شجرة لا تُقتلع".[2]

في حين أن مريم تتابع خطوات حامد، و ترقب عقارب الساعة وهي تقترب من بعضها البعض " يقترب العقربان من بعضهما يتحفز ولكن بثبات... وأخذت خطواتها تدق بتسارع لاهث في انتظار لحظة اللقاء الصاخبة الأخيرة [3].و في هذه الأثناء تنهال على حامد صور من الماضي (مقتل سالم ووالده، وخيانة زكرياء) هذه الأحداث تتصارع في داخله لإنضاج الفعل الأخير حين يشتبك مع الجندي الإسرائيلي في الصحراء ويلقيه أرضا، ثم ينزع منه سلاحه و يرفع السكين في وجهه: " فما الذي تبقى لنا و بيننا أيها الشبح الصامت الغاضب[4]، بينما تصرخ مريم بملء حنجرتها في وجه زكريا، وتطعنه بالخنجر " وتناهى إلى صوت نزيز الدم يتدافع حول النصل، ثم انتفض وتساقط و تكوم بين قدمي الطاولة".[5]

5- الحبكة:

يفترض في كل رواية أن تقع أحداثها في نظام معين إذا يجب أن ترتبط حوادث الرواية وشخصياتها ارتباطا منطقيا، يجعل من الموضوعات وحدة فنية ذات دلالة محددة.

---

[1] -غسان كنفاني المرجع السابق ص 184.

[2] -المرجع نفسه ص 195.

[3] -المرجع نفسه ص22.

[4] -م.ن ص 218.

[5] - م.ن ص 233.

والحبكة الواحدة تتكون من مجموعة من الوقائع الجزئية مرتبطة منظمة على نحو خاص، تسرد سردا فنيا ينقل الحادثة من صورتها الواقعية في الحياة إلى صور لغوية ذات دلالات نفسية متصورة تساعد على حيوية المواقف بالتدرج تتطور تلك الوقائع، فيكون بعضها سببا لوقوع بعضها الاخر، فهي تشتبك و تتأزم ثم تتدرج إلى الانفراج و الحل.

و الحبكة تتألف من ثلاث أجزاء: الأول : البدء (المقدمة)، و الثاني وسط (عقدة)، و الثالث (الحل).

و يختلف نظام العرض للأحداث و الوقائع حسب ما تقتضيه طبيعة الموضوع و أسلوب القاص، فمنها طريقة الترجمة الذاتية، و منها طريقة الرسائل و المذكرات وم إليها من الطرق.

و تظهر الحبكة جليا في " ما تبقى لكم" إذ يمكن تحديد أجزائها الثلاث، فالجزء الأول (المقدمة) و يظهر عند رحيل حامد و مريم من يافا إلى غزة دون الأم.

و أما الجزء الثاني : (العقدة) فهي عند حمل مريم من زكريا بولد غير شرعي، و معرفة حامد بذلك العار، وقراره بالرحيل إلى الأردن هربا من العار الذي أتت به أخته.

و الجزء الثالث (الحل أو النهاية) فهي تظهر عند انتصار حامد على عدوه في الصحراء، و في الوقت نفسه قتل مريم لمغتصبها، زكريا.الذي طلب منها إسقاط الجنين، و هنا يتضح جليا حل أزمة الرواية.

6-اللغة:

هي الأداة أو المادة أو الوسيلة التي يتعامل بها الناس في حياتهم اليومية، و من ثم فهي وسيلة الأديب الوحيدة في التعبير و توصيل الأفكار، و تحتل اللغة المرتبة الأولى في النص الأدبي و خاصة الرواية، (لغة السرد و لغة الحوار)[1].

الانسجام و التوافق بين الشخصية كعنصر أساسي في العمل الروائي و بين اللغة، و إذ من خلال تحقيق هذا الانسجام و الرابط، يمكن تحديد الهوية الشخصية ، وتحديد الأبعاد

[1] – د. نادر أحمد عبد الخالق، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكير و نجيب الكيلاني .ص 234.

الداخلية و الخارجية للشخصية، وتحديد البيئية المكانية و الزمانية، إذن فالمحيط العام للشخصية متوقف على حسن الإجادة اللغوية و التصويرية.[1]

أما في رواية –ما تبقى لكم– لغسان كنغاني، فيمكن القول أن اللغة ابتعدت عن الجماهير و لكن الجدير بالذكر أنها انعكاس للمضمون الروحي للشعب الفلسطيني، إذا استطاع غسان من خلال إثارة وعي جديد، وعي يستمد تحققه و حضوره وتعبيره عن الذات الفلسطينية من خلال ارتباطه بالأرض ، لبقاء الفلسطيني و استمراره في الحياة أولا، و لانتصاره على الواقع الغاشم الذي دفعه مغتصبوا تلك الأرض إليه ثانيا.

و يتجلى هذا الوعي من خلال ثلاث شخصيات إنسانية رئيسة حامد، مريم، زكريا وبينهم علاقة تتخذ حركتهم في الأحداث خطان متوازيان أحيانا أو متعارضان أحيانا أخرى.

و إذا كانت اللغة المستحدثة قد اتصفت بميزة التفرد، فإذا هذا في الحقيقة لم تكن غاية فنية فحسب، بل كانت نتيجة حتمية لتعدد الرواة، مما حول الرواية من روائي إلى عالم روائيين استطاعوا أن يقودوا اللعبة السردية بإتقان وحول رؤية الكاتب إلى رؤى عدد من الشخصيات، تتجاذب وتتنافر، وتتوازي و تتقاطع حسب زاوية النظر، واختلاف مواقع الرواة من الحدث، فالراوي هو الكاتب الذي يبقى محايدا، وكذلك هو حامد ومريم في إن واحد، فضلا عن دور الراوي.

7– الحوار

هو كلام يجري على لسان شخصيات الرواية، ويأخذ أشكالا عديدة فيكون بين الشخص ونفسه سواء كان مسموعا أو غير مسموع ، ويسمى "حوار داخليا"، ومن بين ذلك المناجاة و الغمغمة والهمهمة، ويكون بين شخصية وطرف اخر ويسمى حوارا خارجيا، مثل: محادثة بين شخصين ، أو حدثين شخصية مع الطبيعة أو مع الحيوانات إستئناسا بها.

و الحوار هو المردود العقلي و النفسي للشخصية، فهو الذي يرسم ملامحه، وهو وسيلة الكاتب في رسم الشخصيات، وهو مصدر المتعة إذ من خلاله تتصل الأشخاص وتتفاعل.

[1] – د. نادر أحمد عبد الخلق. الرواية الجديدة بحوث و دراسات تطبيقية ص 111.

ويعد الحوار جزءا من البناء العضوي للرواية له ضرورته وحيويته وقيمته، فهو يدل على الشخصية ويحرك الحدث ويساعد على حيويته المواقف ومن ثمة فإنه يلزم أن يكون دقيقا هادفا إلى غاية مرسومة و محددة بحيث يكون بالفعل عاملا هاما من عوامل الكشف عن كل أبعاد الشخصية أو التطور بالمواقف ،أو تجلية النس الغامضة أو الوصول بالفكرة المراد التعبير عنها.

فحامد ومريم يلجأن إلى المونولوج (الحوار)،و من الواضح أن المونولوج هي أكثر الوسائل أهمية، ولكنه في الواقع حوار داخلي، وبما أن هناك انقساما حاصلا بين الشخصيات يرجع المونولوج إلى واحدة و أخرى منها باستثناء زكريا الذي تشذ عنه القاعدة فهو لا يتكلم مطلقا، بل حامد ومريم هما اللذان يتكلمان عنه في بداية الرواية المفتوحة، يتكلم الراوي عن حامد الذي يقطع الصحراء و إنه لشيء دال أن تكون الكلمات التالية هي الأولى في الرواية (صار بوسعه الأن مباشرة أن ينتظر إلى قرص الشمس معلقا على سطح الأفق)[1].

و يستمر الراوي في السرد إلى أن يتناول حامد الكلام عنه بدلا، ويقيم حوارا مع الصحراء ليس بمقدوري أن أكرهك، ولكن هل سأحبك.....؟) [2]. فتقنية اللغة هي التي سهلت هذا الانتقال من راو للحدث إلى أخر، حيث يبدوا الانتقال أليفا بواسطة هذا التكرار.

أما الصوتان المتقاطعان في الرواية: (مريم/حامد) إذ يفصل بينهما المكان ولكن تداعيات اللغة" ليس باستطاعته أن يكرهني " ليس باستطاعتك أن تكرهني" ، تمهد لتحول السياق فيصبح مدخلا للصوت الأخر، ونقطة تتقاطع عندها الأصوات.

ويمضي هذا التتابع حتى نجد التقاطع بين صوت "مريم" مع صوت "حامد" البعيد وكلمة "تبقى" هي الكلمة التي تمنح هذا التداعي، وتكون نقطة التقاطع بين الصوتين (وتركني وانزلق فوق السلم، ثم سقف الباب.....وما تبقى لكم جميعا (فما الذي تبقى لنا) أيها الشبح الصامت الغامض)[3]

[1]- المرجع السابق ص 161.

[2]- المرجع نفسه ص 170.

[3]- المرجع نفسه ص 218.

كما يظهر الحوار في عتاب حامد لمريم للذنب والعار الذي أتت به، وكذا مريم وزكريا في حديث عن ألمها وماضيها.

مما سبق يتضح أن عملية التوظيف والاستعارة الفنية من عنصر الحوار تتحد في تقديم الشخصيات وكشف العمليات التطورية و الانتقالية للحدث والمكان والزمان فلم يحاول الراوي الخروج من هذه الدائرة إلا فترات قليلة مما أصاب الحوار أحيانا بالرتابة فضعف الحركة ولولا التقطيع الداخلي وبراعة التنسيق، لكانت السيطرة للرتابة والملل.

8-السرد :

هو الخطاب اللفظي الذي يخبرنا عن هذا العالم، و هو يسمى أحيانا بالتلفظ....و قد يعني كذلك الحكي والقص من طرف الكاتب أو الشخصية في الإنتاج الفني، يهدف إلى تصوير الظروف التفصيلية للأحداث و الأزمان.

فالسرد هو الطريقة الخاصة بكل روائي في تقديم أحداث روايته أي مجموع التقنيات والمهارات الغوية التي تجعل من مجموعة أحداث منتظمة، داخل نسق روائي محدد، وتؤدي وظيفة جمالية أو إقناعية ذات معنى.

إن رواية "ما تبقى لكم" حافلة بصيغ سردية عديدة فحامد مثلا محبط وخائب عند تذكره رفيقه المناضل سالم الذي قتل و هو الذي كان يسر شده إلى طريق الحرية بوشاية من العميل زكرياء. فيقص لنا حامد قصته مع سالم " أو قفي ذات يوم بعد أن مضى أسبوع واحد فقط على دخولهم إلى غزة....."[1].

وحامد يرفض الواقع الذي قبلت به أخته مريم وقبل به زكريا، وهو واقع الشعور بالعجز و الاحباط و العيش في سجن الزمن فحامد لم يعرف عن حمل أخته إلا حين أخبرته بذلك " جاءتني بجنين يضرب في أحشائها، وأبوه؟ ذلك النتن، الكلب، زكريا، لقد خدعاني معا ثم طرداني وأنا غارق في عارها [2] .

فيفر حامد من البيت حيث الساعة الكبيرة، ويتخلص من ساعته اليدوية أيضا، هذا الرفض للواقع، و لسجن الزمن و البحث عن عالم واسع مفتوح خال من الحدود والقيود، فحامد

[1] -المرجع السابق ص 200.

[2] -المرجع نفسه ص 175.

يتحرك في الصحراء للوصول إلى الأرض الأم، فيقل عدوه الذي شكل حاجز بينه وبينها، وهكذا تتحول الرتابة في حياته إلى تفاعل مع القضية لتحقيق الذات، وهذا ما حصل أيضا لأخته مريم التي تتحول من امرأة دائمة الانتظار إلى مالكه لزمام أمورها وحاسمة لموقفها، فتنتقل الزوج العميل لتستعيد علاقتها بالأرض الأم.

9-الأسلوب :

هو عنصر حيوي و مؤثر أشد التأثير في الرواية و المراد به طريقة الكاتب في استخدام كلماته وجمله وتراكيبه حقيقية كانت أو مجازا، فما لم يكن للرواية أسلوب مميز موافق لأذواق القراء أو المتلقين، لم تكن الرواية ناجحة، فالأسلوب يلعب دورا مهما في جذب انتباه المتلقي إلى قراءة الرواية و تحبيبها إلى الجماهير و المراد به عادة اللغة و يكمن استخدامها في أساليب مختلفة مع المحافظة على الفكرة.

والأسلوب هو الذي يعرف الكاتب ويميز بين عمله وعمل الآخر ، ومن خلاله نستطيع أن نحكم على جمالية الأعمال ودقتها فهو مبدأ الاختيار ضمن إمكانات اللغة، والألفاظ، والتراكيب النحوية، التي تصل أحيانا إلى درجة من الدقة ، فهو يرتبط بالطريقة التي تتناسق فيها الألفاظ والجمل ، أي يرتبط بشكل الرواية الداخلي والخارجي، وما يترتب عليه من إيقاع، ولهذا فالأسلوب في الرواية يرتبط بجملة من الخصائص التقنية لها ، مقتربا من مفهوم النمط السردي، ومبتعدا عن السطح اللغوي المباشر للنص، مع ملاحظة هذا الدور الوسيط للغة في الرواية.

وفي الأخير نشير إلى أن دراسة الأسلوب، هي التي تحدد اتجاه الكاتب، وقيمته الأدبية، لأن نجاح العمل كوحدة فنية متكاملة، يعود أساسا إلى أسلوب الكاتب ذاته ، حيث ينبغي عليه من أجل تميزه ونجاحه ، أن يكون قادرا على التحكم العالي في لغته، متمكنا من النسج البارع لها ، واللعب بألفاظها أي متمكنا من صناعة الكلام وتخييره في درجاته العليا ، ومستوياته الرفيعة، إذا الكتابة نفسها ، إنما هي استكشاف للغة.

***من حيث الأسلوب:**

نشأت الصعوبة في الرواية بشكل خاص من اعتماد الكاتب التداعي، والنمولوج الداخلي، وهما يدخلان في نسيج الحدث الروائي بدون فواصل تنبه تلقائيا إلى تغيير المواقف، أو الشخصيات، كما تعتمد توازي الأحداث في الزمان والمكان، وقد حاول غسان تذليل هده

الصعوبة باللجوء إلى تغيير لون حرف الطباعة بين العادية ، والبارزة ورغم ذلك فالصعوبة تبقى قائمة .

من المهم الإشارة إلى الرواية لا تقوم على الفصول ، فهي عبارة عن فصل واحد طويل، من أهم العوامل التي تأتي منها الصعوبة باستثناء بعض الروابط اللفظية، سرعة الانتقال بين الأحداث و الشخصيات، لأن هذا الانتقال يتم بدون اشعار فني أو أسلوبي، بل وحتى دون إعطاء علامات الوقف من الانتقال إلى فقرة جديدة، بحيث يصبح من الصعب التنبيه إليه، مما ينشيء جوا من الغموض يفرض على القارئ التفكير و التأني، لتمكين من الربط بين جزئيات الحدث الواحد قبل أن تقاطعها جزئيات الحدث الأخرى، إلى جانب ذلك هناك التداخل الزمني بين الماضي و الحاضر، إذ يمزجان في الحدث الواحد، لتوضيح ذلك نعرض فقرة من الرواية تظهرلنا هذه الس مات: "أنت أرض خصبة أيتها الشيطانة، أرض خصبة ، أقول لك ، أرض خصبة مزروعة بالوهم و المجهول، تتكسر كل أنصال الفولاذ في العالم إذ مرت فوق صدرك الأصغر العاري، صدرك الأجرد الممتد إلى أبدي، و إلى أبادهم و السابح بجلال في بحر من العتمة، كل أنصال الفولاذ في العالم ليس بمقدورها أن تحصد من فوقك عرق واحدا. و لكنها تتكسر، واحدا وراء الأخر أمام حصادك الصلب النامي أكثر فأكثر، كلما خطا الرجل إلى أعماقك خطوة وراء الأخرى، حتى ليتحول هو إلى عرق مجهول يستسقي منك انتصابه و خطواته. وليس بالوسع أن يحصد .... لا تقل لي حتى لو فكرت به ، فأنا خائفة منه إلى درجة لا أجرأ فيها على القضاء عليه، عاري..... و لكنه يا زكريا عاري الوحيد في خمس وثلاثين سنة طاهرة و مخزونة ".[1]

يحتوي المقطع رغم قصره على ثلاث نقلات سريعة، في بداية الفقرة مناجاة بين زكريا و مريم، تلوح منها نوعية العلاقة بينهما، تحول الكلام بعدها إلى حامد و هو يضرب الصحراء مكتشفا خصوبة الوهم الذي يعتري من يحسب نفسه قادرا على خوض غمارها.

فهي أشد و أعتى من أن تقهر ، والرابط اللفظي " أرض خصبة" ثم عودة إلى زكريا و مريم، و هي تتمنع بعناد عن قبول فكرة الاجهاض التي طرحها زكريا و الرابط اللفظي " أن يحصد" و نلاحظ التوازي بين الأزمنة: حامد و الصحراء، مريم و زكريا في البيت مغادرة حامد له.

[1] -المرجع السابق ص 179-180.

10-الفكرة:

يراد بها الموضوع الأساسي الذي تبتني عليه الرواية، وفيه يكن يسر عظمة تلك الرواية و بقاءها، فهي بمقدار اتصالها بالحقائق التي تجعل الحياة الإنسانية أكثر سعة و عمق و يجد القارئ فيها الوعاء الذي يلي مطالبة العرفية و الذوقية و يسد حاجاته الثقافية المتنوعة في الحياة، و الراوي الماهر هو الذي يجعل من الحقائق الإنسانية الخام ، ثم ينقي ثم يأتي إلى العرض الجميل المشوق، و يرسم النموذج الحي المتحرك و بهي صيغ المواقف و الأحداث.

فهذه الفكرة التي يجردها الروائي من مظاهر الحياة بأحاسيسه و تأملاته يعود ليخلقها خلقا فنيا، يجسدها من أشخاص يجردهم من محيط يواجهون الوجود من خلال مواقف متباينة، فيلقي الضوء على سلوكهم، كاشفا بذلك عن الأسباب التي أدت إلى النتائج، محركا معه عواطف قارئه و ذهنه و خياله.

فالفكرة هي أساس العمل الروائي، فلا زرع دون وضع، و الفكرة هي الوضع الذي ستنبت زرعا يحصده القارئ و ينتفع به الروائي فهي الدافع و المحرك لرغبة الروائي في إعمال القلم استجابة لعنفوانها، و كل عناصر الرواية مسخرة لتحقيق الفكرة، فهي تولد الصراع في ذهن الروائي و الصراع ينتج الأحداث، و الأحداث للنظر المحكم، و النظر المحكم يعطينا رواية كاملة الأبعاد.

و للرواية فكرة رئيسية واحدة و هذا لا يعدم وجود أفكار أخرى ثانوية لكنها كلها تخدم الرئيسة، ولكل صراع موجود في الرواية فكرته المرتبطة بالفكرة الرئيسية، وقد يورد الروائي فكرة ثانوية غير مرتبطة بالرئيسية لغرض معين، فقد يقصد تضمين عدة أهداف في روايته أو إيصال مجموعة رسائل في جعبته إلى الجمهور، و هذا جيد إذا لم يكن بصورة متكررة، و الجودة تحدد بإراحة القارئ من الجهد الذي يصنعه تواصل الأحداث المرتبطة بالفكرة الرئيسية، و في النهاية فإن للرواية فكرة واحدة طاغية تتصف بوضوح يهدي القارئ إليها بشكل تلقائي دون عناء التفكير.

إن موضوع الرواية "ما تبقى لكم" هو انقلاب الفلسطيني من ماضيه، لها كان الزمن بطلا، ممثلا بساعة الحائط، و الماضي ممزوج بعقدة الذنب، و لا يمكن لفلسطيني أن يتخطى عقدة ذنبه إلا بالمرور عبر فلسطين، إن " ما تبقى لكم" هي النقض و الذنب.

إن الحلم و الهاجس الدائم الذي ينال من الذاكرة في عقل الفلسطيني يصنع من حياته حياة اشتباك دائم و صراع حاول كنفاني تحقيق الانتقال من خلاله من حالة إلى أخرى إنه الاشتباك مع الفقر، اشتباك مع الأنظمة التي تقهر الفلسطيني و تحوله إلى مجرد رقم ، أو بطاقة إعاشة ، اشتباك مع الذات نفسها لتتجاوز القهر و الاستسلام لتظل متصلة بالماضي امتداد للمستقبل، اشتباك مع أعداء الوطن غاصبي الأرض مضطهدي الإنسان.

" ما تبقى لكم" كانت الأمل لغسان بالعودة و باسترداد العائلة و الأرض و التراض الثقافي الذي اغتصب منه عام 1948م ربما هذا ما أراد كنفاني أن يقوله لنا عن الوطن الأم قبل خمسين عاما، و لعل في رسالته معنى يعنينا، ونحن نواجه الأن خطر ضياع ماتبقى من أرض فلنترك الاشتباك و لنرى ما تبقى لنا.

11-الرمز

الرمز في الرواية عنصر مهم من عناصر التبئير الايجابي في الرواية يعطيها نفسيا تعبيريا جديدا يضمن نجاحها و انتشارها، و إنه دلالة غير مباشرة في مقابل الدلالات المباشرة في التعبير عن الشخوص و الأحداث و الفضاء الزمني و المكاني ....و يعد تعاطي الكاتب الروائي للرمز وسيلة تفيد الرواية و ترفع من قيمتها.... فعناصر الرواية و شخوصها ذات أبعاد أعمق دلالة من الإبعاد المباشرة.

و لهذا نجد الكاتب الروائي " غسان كنفاني" أكثر من استعمال الرمز في روايته "ما تبقى لكم ، فحامد هو الشخصية الرئيسة في الرواية، و به يتجلى الرمز الكلي و عنده بقية الرموز الجزئية، هو الرمز لكل الباب الفلسطيني الذي كابد مأساة 1948 م، وقذف به في سرعة لا تسمح باستيعاب ما حدث، حامد رمز الكيان الفلسطيني المحبط المفجوع ، المتردد، و هو يخوض معركة الخلاص. فأي رمز الذي تهيأ في شخصية مريم و زكريا ؟.

مريم هي كل ما أفرزته الهزيمة من أوضاع الأسرة الفلسطينية ابتعدت عن بيتها و مدرستها و طموحاتها و أرضها بلا مال و لا سند، لتضعها أمام أوضاع الحياة العاتية.

أما زكريا فهو الذي يمثل صورة الفلسطيني الجاحد بأرضه، هو يدل الضابط الصهيوني على الفدائي سالم، و يغتصب مريم في غياب أخيها حامد عن البيت، إذ قتل على يد مريم و الذي يختتم به غسان الرواية مؤكد بذلك أن المرأة الفلسطينية ليست صورة لفلسطين فحسب ، بل هي رمز لأرضها عندما تثور على مغتصبيها. فمريم بدل أن تلد الخيانة، ولدت الارادة التي غرست السكين في جسد زكريا الذي يرمز للعدو الداخلي.و هذا ما يفسر مرحلة الوعي – عند غسان– الفلسطيني.

أما اغتصاب زكريا لمريم فيقابله اغتصاب العدو للأرض، و إن قتل مريم لزكريا الخائن هو الذي يفتح الطريق لمواجهة العدو الخارجي

إن رحلة حامد الهادفة إلى النقاء (الانطلاق من الخيانة) هي رمز لدرس كبير يقدمه غسان، كل محاولة لبلوغ الطهر الفلسطيني لا بد لها من العبور بفلسطين المحتلة.

فالصحراء في "ما تبقى لكم " هي وسيلة فنية، فهي التي تشهدنا على حامد، و قد اختارها للخلاص، فتصفه لنا شكلا و إرادة، و موقفا و تنقل لنا خطواته فوقها ، فالصحراء موجودة في أكثر الأماكن التي يوجد فيها الفلسطيني، لأننا نرى فيها الخلاص، و الأمن، كما تتجلى أمامنا مهلكة قاتلة، و كلاهما صارو جزءا من فلسطين.

استطاع "غسان" من خلال هذه الرواية شرح الوضع الفلسطيني في فترة الخمسينات، و أواخر الستينات، و هذا يعود لإمكانات كنفاني الفكرية و الفنية، فمن خلال تحليل بنية الرواية، و معرفة الوظائف التي تمارسها و العناصر و الدلالات التي تنتجها يتضح لدينا أن هذه الرواية تمثل مرحلة الارهاص و التهيؤ للفعل، و هي تتأرجح بين السؤال الذي طرحته المرحلة الماضية، و بداية الفعل الذي يشكل الخطوة الأولى في الطريق الطويل ، و بين السؤال و الفعل تتبلور الشخصيات.

فمن المنطق بأن يسبق الفعل حركة تخرق الصمت و السكون، فمعالم الرواية ينضج بالنبض و الحركة، خطوات حامد تدق على صدر الصحراء و تقرع في رأس مريم كجرس إنذار، و الساعة " النعش" المعلقة على الجدار لا تتوقف عن الدق، و الجنين في رحم مريم

ينبض و يتجاوب مع خطوات حامد في الصحراء، و زكريا الماضي تستيقض في ذاكرة حامد و مريم حتى صوت الصمت يدق.

الخاتمة

و أخيرا و من خلال ما سبق من تحليل و دراسة و بحث توصلنا إلى أن رواية " ما تبقى لكم" لغسان كنفاني اشتملت على كل عناصرها الفنية من البداية حتى النهاية، و هذه العناصر مطبوعة لكل ناظر، تجمل الهمم و تدفع الملم و قد خرجنا عن المألوف دون إنكار المعروف، فلم ننقل إلا لماما لكننا استفدنا ممن سبق في الكتابة، و أجاد في صنع الإجابة، و ذلك لأن نقل الحروف ملأ الرفوف، فأمل القارئ الشغوف، فكتبنا في العناصر ما يكشف الستائر بأمل الإبداع قدر المستطاع، فجاءت على عشرة من نتائج الخبرة، و هي بالإيجاز و إجمال الإحراز:

الشخصيات، المكان، الزمان، الحدث، الحبكة، اللغة، الحوار، السرد، الأسلوب، الفكرة.

فالشخصيات ترسم الملامح، و الزمان يظهر هالمكان، و المكان يحدد أبعاد الأحداث، و الأحداث تثير المشاهد، و الحبكة لحظة اشتداد الصراع، و اللغة وسيلة لإعراب المنقول، والفكرة الدافع لكتابة الكاتب فئة المأمول.

إن رواية "ما تبقى لكم " قد صدرت عام 1966م، و هذا التاريخ له دلالته الكبيرة في حياة الشتات الفلسطيني، فيه تحقق ظهور التنظيمات الفلسطينية بتشكيلاتها العسكرية الضاربة، و السياسة المنظمة، كانت الدعوة إلى الوعي ، إن غسان كنفاني يدعو إلى مجتمع ينفي استغلال الإنسان، و يوفر تكافؤ الفرص، واستثمار المواهب الإنسانية، قد خرج غسان كنفاني بهذه الرواية عن دائرة الواقع الاجتماعي المحلي إلى القضايا مجتمعة من خلال رسم أحداثه .

بعد قراءة هذه الرواية الاجتماعية يتضح أن غسان كنفاني كان يشاهد مشكلات المجتمع الفلسطيني، وقد تأثر بمشاهداته الدقيقة ، وكأنه ناطق باسم الطبقة الشعبية، والطبقة المتوسطة التي كانت تعاني من مظاهر الظلم ، والفساد، والفقر والحرمان ، والكاتب قد تحدث عن الواقع على لسان الشخصيات ، الفلسطينية.

كانت هذه جل النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لرواية غسان كنفاني " ما تبقى لكم" آملين أن تكون دراستنا المتواضعة بمثابة الانطلاقة الأولى لدراسة فنيات الرواية الفلسطينية عموما ورواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني خصوصا.

خاتمة :

و أخيرا و من خلال ما سبق من تحليل و دراسة و بحث توصلنا إلى أن رواية " ما تبقى لكم" لغسان كنفاني اشتملت على كل عناصرها الفنية من البداية حتى النهاية، و هذه العناصر مطبوعة لكل ناظر، تجمل الهمم و تدفع الملم و قد خرجنا عن المألوف دون إنكار المعروف، فلم ننقل إلا لماما لكننا استفدنا ممن سبق في الكتابة، و أجاد في صنع الإجابة، و ذلك لأن نقل الحروف ملأ الرفوف، فأمل القارئ الشغوف، فكتبنا في العناصر ما يكشف الستائر بأمل الإبداع قدر المستطاع، فجاءت على عشرة من نتائج الخبرة، و هي بالإيجاز و إجمال الإحراز:
الشخصيات، المكان، الزمان، الحدث، الحبكة، اللغة، الحوار، السرد، الأسلوب، الفكرة.

فالشخصيات ترسم الملامح، و الزمان يظهره المكان، و المكان يحدد أبعاد الأحداث، و الأحداث تثير المشاهد، و الحبكة لحظة اشتداد الصراع، و اللغة وسيلة لإعراب المنقول، والفكرة الدافع لكتابة الكاتب فزهد المأمول.

إن رواية "ما تبقى لكم " قد صدرت عام 1966م، و هذا التاريخ له دلالته الكبيرة في حياة الشتات الفلسطيني، فيه تحقق ظهور التنظيمات الفلسطينية بتشكيلاتها العسكرية الضاربة، و السياسة المنظمة، كانت الدعوة إلى الوعي ، إن غسان كنفاني يدعو إلى مجتمع ينفي استغلال الإنسان، و يوفر تكافؤ الفرص، واستثمار المواهب الإنسانية، قد خرج غسان كنفاني بهذه الرواية عن دائرة الواقع الاجتماعي المحلي إلى القضايا الإنسانية العامة التي تتعلق بالوجود وبالإنسان ،فيما يتعلق برواية غسان كنفاني ،قد استطاع الكاتب أن يصور قضايا مجتمعه من خلال رسم أحداثه .

بعد قراءة هذه الرواية الاجتماعية يتضح أن غسان كنفاني كان يشاهد مشكلات المجتمع الفلسطيني، وقد تأثر بمشاهداته الدقيقة ، وكأنه ناطق باسم الطبقة الشعبية، والطبقة المتوسطة التي كانت تعاني من مظاهر الظلم ، والفساد، والفقر والحرمان ، والكاتب قد تحدث عن الواقع على لسان الشخصيات الفلسطينية.

كانت هذه جل النتائج التي توصلنا إليها من خلال دراستنا لرواية غسان كنفاني " ما تبقى لكم" آملين أن تكون دراستنا المتواضعة بمثابة الانطلاقة الأولى لدراسة فنيات الرواية الفلسطينية عموما ورواية "ما تبقى لكم" لغسان كنفاني خصوصا.

قائمة المصادر والمراجع:

*القرآن الكريم رواية ورش عن مالك.

*أحمد أبو مطر، الرواية في الأدب الفلسطيني، بيروت المؤسسة العربية للدراسات 1982.

*أحمد أبو مطر الرواية في الأدب الفلسطيني–بيروت دار الأداب 1990.

*د.احمد عطية،الرواية في الأدب الفلسطيني،دار الرشيد للنشر 1981.

*أحمد رفيق عوض العذراء والقرية، القدس،إتحاد الكتاب 1992.

*اندري لالاند ،الموسوعة الفلسفية،مج (ag) تر،خليل احمد خليل،منشورات عويدات بيروت،لبنان ط2001،2 .

*ابراهيم حسين الفيومي، الواقعية و الرواية الحديثة في بلاد الشام، بيروت ، دار الفكر، 1983.

*إبراهيم خليل: مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة للنشر و التوزيع عمان ط1، 2003.

*جمال القواسمي، أشجان ط 1 د.م 1992.

*حسن محمد صالح: المقاومة المسلحة ضد المشروع الصهيوني فلسطين، المركز الفلسطيني للإعلام 2001 .

*حسين جميل البرغوثي –الضفة الثالثة لنهر الأردن –القدس دار الكتاب حزيران 1984 .

*رفيقة البحوري – الأدب الروائي عند غسان كنفاني ط 1 دار التقدم تونس 1982.

*ربحي الشويكي–أنشودة فرح – القدس: اتحاد الكتاب 1990

*رجب محمود، الاغتراب سيرة ومصطلح، ط4، القاهرة، دار المعارف 1993.

*عبد الكريم اليافي– دراسات فنية في فن الأدب العربي مكتبة لبنان ناشرون ط 1. 1416– 1996 م .

*د.عبد القادر شرشار،خصائص الخطاب الأدبي في رواية الصراع العربي الصهيوني،مركز دراسات الوحدة العربية ط1-2005.

*عبد الله يحي، الاغتراب، دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي 2005.

*عادل عمر-الظافرون بالعار-القدس: المؤلف 1989.

*غسان كنفاني : الأدب الفلسطيني المقاوم تحت الاحتلال 1948-1968 مؤسسة الدراسات الفلسطينية بيروت 1968 ط1 .

*غسان كنفاني الأثار الكاملة المجلد الأول دار الطليعة للطباعة والنشر ط1 تشرين الثاني (نوفمبر) 1972.

*غسان كنفاني الأثار الكاملة المجلد الثاني دار الطليعة للطباعة والنشر ط 1 تشرين الثاني (نوفمبر) 1972.

*غالي شكري، أدب المقاومة، دار المعارف، مصر 1970.

*سحر خليفة- باب الساحة-بيروت دار الأداب 1990.

*سحر خليفة ، رواية الصبار القدس دار جاليليو 1976 .

* د سيد محمد النساج بانوراما الرواية العربية الحديثة مكتبة غريب ط 2، 1985 .

*سيزا قاسم،بناء الرواية،دراسة مقارنة لثلاثية نجيب محفوظ،الهيئة المصرية العامة للكتاب 1984.

*شكري عزيز، انعكاس هزيمة حزيران على الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت ط1، 1978.

*شاخت، الإغتراب، ترجمة كامل يوسف حسن، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات، 1980.

*صافي صافي – الحلم المسروق – القدس دار الكتاب 1992 الفصل 3 .

*د.صلاح فضل،نظرية البنائية في النقد الأدبي دار الشروق،ط1،1998

*فخري صالح، في الرواية الفلسطينية ط1، بيروت، دار الكتاب الحديث، 1985.

*كريم مهدي المسعودي،غسان كنفاني و عبد الرحمان منيف الرؤية المستقبلية في الرواية ط1،دار أسامة للنشر و التوزيع الأردن–عمان– 2000.

* محمود غنايم ،تيار الوعي في الرواية العربية الحديثة،دار الجيل–دار الهدى بيروت–القاهرة،ط1993،2

*محمود شاهين – الأرض الحرام.وزارة الثقافة والإرشاد القومي – دمشق.

* ملاس مختار تجربة الزمن في الرواية العربية–رجال في الشمس نموذجا– طبع بالمؤسسة الوطنية للفنون المطبعية,وحدة الرغاية الجزائر–2007.

*د.نادر احمد عبد الخالق،الشخصية الروائية بين علي احمد باكثير ونجيب الكيلاني– دراسة موضوعية فنية– ط 1 كفر الشيخ العلم والإيمان للنشر والتوزيع 2009.

*د.نادر احمد عبد الخالق، الرواية الجديدة بحوث ودراسات تطبيقية، ط 1 كفر الشيخ، العلم والإيمان للنشر والتوزيع 2009.

*د. نصر محمد عباس الشخصية و أثرها في البناء الفني لروايات نجيب محفوظ نجيب مكتبة عكاظ للنشر و التوزيع، الرياض، السعودية 1984.

*نادر أحمد عبد الخالق الشخصيات الروائية بين علي أحمد باكثير و نجيب كيلاني، و دراسة فنية موضوعية.

*هورست ريديكي، الانعكاس و الفعل" دياليكتيك الواقعية" بيروت دار الفرابي دمشق دار الجماهير 1977 .

*د.واصف أبو الشباب، صورة الفلسطيني في القصة الفلسطينية المعاصرة، دار الطليعة للطباعة و النشر بيروت 1988.

*يوسف سامي اليوسف، غسان كنفاني، رعشة المأساة ط 2، عكا دار الأسوار، 1988.

المواقع الالكترونية

www.invstintech.com

Copyright © 2005.adab.com

محمد راسب النابلسي موضوعات أدبية أدب فلسطين www.palestne.info.infi.

فهرس الموضوعات

***مقدمة**.....**(أ/جـ)**

***مدخل:عالم الرواية الفلسطينية**..... **1**

***الفصل الأول:الأدب والرواية الفلسطينية**.....**(3-14)**

1-تعريف الأدب الفلسطيني..... **3**

2-مراحل الأدب الفلسطيني..... **3**

3- خصائص الرواية الفلسطينية..... **6**

***الفصل الثاني:عالم غسان كنفاني**.....**(15-34)**

1- التعريف بالروائي غسان كنفاني..... **15**

2-الشخصية في بعض قصص وروايات غسان كنفاني..... **21**

3- الحس الإغترابي في الأعمال الروائية لغسان كنفاني..... **27**

4-الرؤية المستقبلية في الأعمال الروائية لغسان كنفاني..... **31**

***الفصل الثالث:الدراسة الفنية لرواية ما تبقى لكم**.....**(35-60)**

1- ملخص رواية "ما تبقى لكم"..... **35**

2- الدراسة الفنية لرواية ما تبقى لكم..... **37**

***خاتمة**..... **61**

***قائمة المصادر والمراجع.**

*** فهرس الموضوعات.**